بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الإيمان

obeikandl.com

obeikandl.com

بابُ (بُنِيَ الإسلامُ على خَمْس)

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه:

الإيمانُ: قولٌ، وفعلٌ، ويزيد وينْقُص، قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١] وقال سبحانه: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] والحبُّ في اللَّه، والبغضُ في اللَّه، من الإيمان.

وكتب عمر بن عبد العزيز: (إنَّ للإيمان فرائضَ وشرائع، وحدوداً وسنناً، فمن استكملها، استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان).

وقال معاذ: اجلس بنا نؤمنْ ساعة!

وقال ابن عمر: لا يبلغ العبدُ حقيقةَ التقوى، حتى يَدَعَ ما حاك في الصدر.

٨ ـ عن عبدِ اللَّه بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **(بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ).**

[الحديث طرفه في: ٤٥١٥]

شرح الألفاظ

قولُ البخاري: (دعاؤكم): إيمانُكم، هذا من تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] أي ما يكترث بكم ربي، ولا يُبالي بشأنكم، لولا إيمانُكم وتضرُّعكم له، ولولا ذلك لكنتم كسائر البهائم سواءً بسواء.

(الإيمانُ) لغةً: معناه التصديقُ القلبيُّ، وشرعاً: تصديقُ النبيِّ ﷺ فيما جاء به عن ربه، وهو يزيد وينقص، يزيد بالأعمال الصالحة، وينقص بالمعاصي والآثام.

(بُنِيَ الإسلامُ) مأخوذ من البناء يُقال: بَنَى فلان داراً أي شيَّدها، وأقام عُمْرانَهَا،

شبَّه الإسلامَ ببناءٍ فخم ضخم، يقوم على دعائمَ، محكمة متينة، إذا ذهبت هذه الدعائمُ، تهدَّم البناءُ، وانحلَّت الأركانُ، وهو تمثيلٌ رائعٌ بديع.

(**شهادة أن لا إله إلا الله**) أي الشهادة للَّه بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالنبوة والرسالة.

(**وإقام الصلاة**) أي أدائها على الوجه الكامل، بأركانها، وواجباتها، وآدابها، مع الخضوع والخشوع، ولهذا جاء التعبير بلفظ الإقامة في جميع الألفاظ (أقاموا الصلاة) و(يقيمون الصلاة) (والمقيمين الصلاة).

(**وإيتاء الزكاة**) أي دفع الزكاة إلى الفقراء والمساكين، وسائر مصارف الزكاة الثمانية، عن طيب نفسٍ، والحكمةُ من الزكاة: دفْعُ الشحِّ عن النفس ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(**وصوم رمضان**) أي وصيام شهر رمضان المبارك، الذي أُنزل فيه القرآن.

(**والحج**) أي وحج بيت اللَّه الحرام، لمن استطاع إليه سبيلاً.

ولم يذكر (الجهاد) لأنه فرضُ كفاية، إذا قام به البعضُ، سَقَط عن الباقين.

فائدة هامّة

إنما بدأ الحديثُ بالصلاة بعد الشهادة، لأن الصلاة أهمُّ أركان الإسلام، وقد شبَّهها رسولُ اللَّه ﷺ بتشبيه رائع بديع، مثَّل لها بإنسانٍ له أعضاء: له (يدان، ورِجْلان، وعينان، ورأس)، فإذا قُطعت يده لا يموتُ، بل يصبح ناقصاً، كذلك إذا قُطِعتْ رجلُه، يصبح أعرج ولا يموت، وإذا قُلعت عينه يصبح أعورَ، أمَّا إذا قُطِع رأسُه، فإنه يَفْقِد الحياةَ بالكُلِّيَّة، ولهذا قال الرسول الكريم: (**أَلَا لا دينَ لمن لا صلاة له، إنما منزلةُ الصلاة من الدِّينِ، كمنزلة الرأس من الجسد**).

سببُ ذكر ابنِ عُمَرَ للحديث الشريف

ذكر البخاري في كتاب التفسير، سببَ ذكر ابن عمر لهذا الحديث الشريف، وهو: (أنَّ رجلاً قال لعبد اللَّه بن عمر: ما حَمَلَكَ على أن تحجَّ عاماً، وتعتمر عاماً، وتترك الجهاد؟) فذكر له هذا الحديث».

تمثيلٌ رائع بديع

وَرَدَ التمثيلُ البديعُ، في هذا الحديث لأركان الإسلام، بتشبيهه ببناء قصرٍ، فخم

obeikandl.com

ضخم، يعتمد على دعائمَ وقواعدَ متينة، هي خمسة أعمدة، إذا سقط منها عمود، أصبح القصر على خطر، هذا القصر له في وسطه عمود ضخم كبير، هو الذي يحمي القصر كلَّه، لأنه هو الأساس الذي يستند عليه البناء، هو (الشهادة بالوحدانية للَّه) وتصديق الرسول ﷺ والبقيَّةُ تدعم هذا البناء (الصلاةُ، الصومُ، الحجُّ، الزكاةُ) فإذا تهدَّم الأساس، تهدَّم جميع البناء، ويا له من تمثيل رائع، ممن أُعطي جوامع الكلام، صلواتُ اللَّه وسلامهُ عليه.

وجاء في صحيح مسلم، تقديمُ الصوم على الحج، فقال رجل: (والحجُّ، وصيامُ رمضان) **فقال ابن عمر**: لا، صيامُ رمضانَ، والحجُّ، هكذا سمعتُه من رسول اللَّه ﷺ، وهذا محمولٌ على ضرورة المحافظة على اللفظ الذي يسمعه الراوي من رسول اللَّه ﷺ، وإن كان يصحُّ رواية الحديث بالمعنى.

بابُ (شُعَبِ الإيمان وفروعه)

٩ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ).

شرح الألفاظ

(**بِضْعٌ**) البضعُ من الأعداد هو: من الثلاثة إلى العشرة، تقول: في السفينة بضعةُ رجال، فقد يكونوا ثلاثة، أو أكثر، كسبعة، أو تسعة، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢] قال المفسرون: مكث يوسف في السجن سبع سنوات.

(**والحياء**) **الحياءُ لغةً**: تغيّرٌ وانكسارٌ يعتري الإنسانَ، من خوفِ ما يُعاب عليه.

وفي الشرع: خلُقٌ كريم، يبعث على اجتناب القبيح، من الأقوال والأفعال.

(**شعبة من الإيمان**) أي فرعٌ عظيم من فروع الإيمان، ينبع من أخلاق المؤمن الصادق في إيمانه، وقد وضَّح ﷺ حقيقةَ الحياء، بقوله ﷺ: «**استحيوا من اللَّه حقَّ الحياء!!**» فقالوا: إنَّا والحمدُ للَّه لنستحيي من اللَّه!! فقال ﷺ: «**من استحيا من اللَّه حقَّ الحياء، فَلْيحفظ الرأسَ وما حوى، ولْيَحْفظ البطنَ وما حوى، ولْيذكر**

الموتَ والبِلى، من فعل ذلك، فقد استحيا من اللَّه حقَّ الحياء» أخرجه الترمذي.

ما يستفاد من الحديث

١ ـ شبَّهَ ﷺ الإيمانَ بشجرة عظيمة ذاتِ أغصان، وفروع عديدة، أحدُ هذه الأغصان الحياءُ الذي كلُّه خير، ولا يأتي إلا بالخير، ولهذا ورد في حديث الترمذي **«إذا لم تَسْتَحِ فاصنعْ ما شئتَ»**.

٢ ـ وفي رواية البخاري: **«الإيمانُ بضعٌ وستون شعبة»** وورد في صحيح مسلم بلفظ **«الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا اللَّه، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق** ـ أي تنحيته عن الطريق ـ **والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»**.

فائدة

إنْ قيل: لماذا أفرد الحياء بالذكر من سائر شُعَب الإيمان، وهي كثيرة ووفيرة؟ والجوابُ: أنَّ الحياءَ خُلُقٌ يدعو إلى سائر الفضائل، فإنَّ الإنسان يخشى فضيحة الدنيا، وعذابَ الآخرة، فينزجر بالحياء عن المعاصي، ويمتثل الطاعات التي أمر اللَّه بها، ولهذا خصَّه بالذكر.

قال الطيبي: وإنما أفردَ الحياء بالذكر، بعد دخوله في شعب الإيمان، للإشارة إلى كثرة فروع الإيمان، كأنه يقول: هذه شعبة واحدة من شُعَبِه، فهل تُحصى شعبُه كلُّها؟ هيهات هيهات، فإنَّ البحر لا يمكن أن يُغرف.

تنبيه هام

في الحديث إشارة إلى أن مراتب الإيمان متفاوتة تفاوتاً كبيراً، فأعلى هذه المراتب (مرتبة التوحيد) الذي هو أصلٌ لجميع الأعمال، حيث لا يُقبل عملٌ من أحد، حتى تَصْفى عقيدتُه، ويَحْسُن إيمانُه، وأقلُّها رفعُ الأذى عن الطريق.

فائدة مهمة

الحديث رواه (أبو هريرة) رضي اللَّه عنه، وهو أكثر الصحابة رواية عن رسول اللَّه ﷺ لأنه كان يلازم الرسول ﷺ في جميع أوقاته، وقد كنَّاه رسول اللَّه بهذه الكنية (أبو هريرة) لهرَّة كان يلعب بها، واسمه الحقيقي (عبد الرحمٰن بن صخر) من

قبيلة دَوْس، وهو من كبار الصحابة، الذين حفظوا للأمة الإسلامية هذا الركنَ العظيمَ، من الشريعة المطهَّرة، ألَا وهي (السنة النبوية) التي نقلها لنا هؤلاء الحُفَّاظ الثقات، من صحابة رسول اللَّه ﷺ، ومن جاء بعدهم من المحدِّثين الأخيار، ولقد شَهِد له رسولُ اللَّه ﷺ بالحرص على الحديث، ودعا له بثباتِ الحفظ، فلم يسمعْ شيئاً من رسول اللَّه ﷺ إلَّا حَفِظه، ببركة دعائه له صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه. أسلم في السنة السابعة من الهجرة عام خيبر، وتُوفي بالمدينة المنوَّرة سنة (٥٧) هجرية ودُفن بالبقيع، وقبرُه معروفٌ إلى زماننا، وله قصة عجيبة مع أمه فيها معجزة نبوية لرسول اللَّه عليه الصلاةُ والسّلام، نذكرها لما فيها من التذكير، بمعجزات أشرف المرسلين صلواتُ اللَّه وسلامهُ عليه.

معجزةٌ نبويةٌ لخاتم الأنبياء والمرسلين

قصَّةٌ عجيبة لأبي هريرةَ رضي اللَّه عنه

لأبي هُرَيرةَ قصة عجيبة وغريبة، فقد كانت أمُه مشركة، وكان يدعوها بين الحين والحين إلى الإسلام، فتأبى عليه، فدعاها يوماً إلى الإسلام، فسبَّت الرسولَ وشتمَتْه، فذهب إلى الرسول عليه السلام، وهو يبكي من شدة الحزن، فقال له ﷺ: «**ما لَكَ يا أبا هريرة؟ لماذا تبكي؟**» فقال: يا رسول اللَّه كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتُها اليوم إلى الإسلام، فأسمعتني فيك ما أكره، فادعو اللَّهَ أن يهدي قلْبَها للإسلام!! فقال الرسول الكريم: «**اللهمَّ اهدِ قلبَ أُمِّ أبي هريرة للإسلام**».

قال: فاستبشرتُ بدعوة رسول اللَّه ﷺ، فرجعتُ إلى بيتي فلمَّا أردتُ أن أدخله، سمعتُ خشخشة الماء ـ أي صوت الماء يُسكب ـ فقالت لي أمي: على مَهْلِكَ يا أبا هريرة، فلمَّا انتهَتْ من الغُسْل، فتحت البابَ، ثم قالت: أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه، وأشهد أن محمداً رسول اللَّه!

قال أبو هريرة: فرجعتُ إلى رسول اللَّه، وأنا أبكي من شدَّةِ الفرح، فقال لي ﷺ: «**ما لك يا أبا هريرة؟**» قلتُ: أبشرْ يا رسول اللَّه، فلقد استجاب اللَّه دعاءك، وهدَى قلبَ أمِّ أبي هريرة للإسلام! فحمد الرسول ربّه وأثنى عليه.

قال أبو هريرةَ: فقلت: يا رسول اللَّه أُدع اللَّه أن يحبِّبني أنا وأمي إلى المسلمين، وأن يحبِّب المسلمين إلينا، فدعا لي الرسول ﷺ فقال: «**اللهمَّ حبِّبْ أبا هريرة وأمَّه إلى المسلمين، وحبِّبْ المسلمين إليهما**».

قال أبو هريرة: فما رآني مسلم، ولا سَمِع بي مسلم، إلَّا أحبَّني أنا وأمي.

باب (حقيقة المسلم وحقيقة المهاجر)

١٠ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ).

[الحديث طرفه في: ٦٤٨٤]

شرح الألفاظ

(المسلم) المرادُ بالمسلم: المسلمُ الكاملُ الإسلام، وليس معناه أنَّ من لم يَسْلم المسلمونَ من لسانه ويده، ليس بمسلم، وإنما الغَرَضُ التنبيهُ على حقيقة الإسلام، الذي فيه نجاة الإنسان من عذاب اللَّه، كقولهم: فلانٌ الرَّجُلُ، أي الكامل في الرجولة والعظمة.

(مَنْ سَلِمَ المسلمون من يده) لا يُراد باليد الجارحة، وإنما يعمُّ كلَّ ما يصدر من الإنسان، من عَمَل، سواءً كان باليد، أو باللسان، أو بالفعل الضارِّ، كالسَّطو، والظلم، وسوء الكلام.

(والمهاجر) الأصلُ في الهجرة: تركُ الوطن، والخروجُ منه طلباً لرضى اللَّه، كما فعل الصحابة حين تركوا مكة، وهاجروا للمدينة المنورة.

(مَنْ هَجَرَ ما نَهَى اللَّه عنه) أي تَرَكَ ما حرَّم اللَّه عليه، فهذه هي الهجرةُ الحقيقية، التي يحبُّها اللَّهُ ورسوله.

تنبيه هامٌّ

هذا الحديثُ الشريف، من جوامع كَلِمه ﷺ، وفصيح ألفاظه، فقد جَمَعَ ﷺ بين أعمال الخير والفلاح، في تعريفٍ مختصر، ووضَّح حقيقةَ المسلم الكامل، الذي يستحقُّ أن يُوصف بأنه مسلم، كاملٌ في العقيدة، صادقٌ في الإيمان، وهو الذي يَسْلم المسلمون من ضرره وأذاه.

قال الخَطَّابيُّ: معناه أنَّ المسلم الممدوح، من كان متصفاً بهذه الأوصاف، الكريمة، وهو الذي ينجو المسلمون من شرِّه وأذاه، وليس معناه أنَّ من لم يَسْلَم

الناسُ من أذاه، ليس بمسلم، أو أنه خارج عن الملَّة، وكذلك المهاجر الممدوح، هو الذي جَمَع إلى هجرانه وطَنَه، هَجْرَ ما حرَّم اللَّه تعالى عليه.

فائدة مهمة

هذا الحديث قاله ﷺ لمن سأله عن الإسلام، كما في رواية ابن عمر (أن رجلاً سأل رسولَ اللَّه ﷺ: أيُّ المسلمين خير؟) فذكر ﷺ الحديث!!.

وجاءت زيادةٌ رواها ابنُ حبَّانَ والحاكمُ، وهي: «**والمؤمنُ من أمِنَهُ النَّاسُ على دمائهم وأموالهم**» وكفى بهذا توضيحاً لحقيقة الإسلام والإيمان.

ما يستفاد من الحديث

١ ـ فيه الحثُّ على ترك أذى المسلمين، بكل ضروب الأذى، القوليَّة، والعمليَّة، والفعليَّة، كالشتم، والضَّرْب، والسخرية، والاستهزاء، وأمثالِ ذلك.

٢ ـ وفيه حُسْنُ التخلُّق مع الناس، ولهذا فسَّر الحسن البصريُّ الأبرارَ، بقوله الأبرارُ: هم الذين لا يؤذون الذَّرَ، ولا يُحبُّون الشرَّ.

٣ ـ وفيه ضرورةُ إحسان المعاملة مع المخلوق والخالق، كما قال سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

باب (أيُّ الإسلام أفضل؟)

١١ ـ عَنْ أَبي مُوسَى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ).

شرح الألفاظ

(**أيُّ الإسلام أفضلُ**) أيْ أيُّ شُعَب الإسلام أفضل؟ وأيُّ أعماله أحبُّ عند اللَّه تعالى؟

(**من سَلِمَ المسلمون**) أي من لم يصل إلى المسلمين، من شرِّ لسانه ويده، شيءٌ

من الأذى، وفيه بيانُ علامة المسلم، الذي يُستدلُّ بها على إسلامه الصَّادق، وهي سلامةُ المسلمين، من شرِّ لسانه، وشرِّ يده، وسائر ضروب الأذى.

توضيحٌ وبيانٌ

هذا كالتأكيد للحديث السابق، أنَّ أفضلَ المسلمين عند اللَّه، من تخلَّص الناسُ من أذاه وضرره، باللسان، أو باليد، وهو المسلم الصادق الذي جَمَع بين أداء حقوقِ اللَّه تعالى، وحقوقِ عباده، فليس الإسلامُ مجرَّدَ أداءِ شعائرِ الصلاة، والعبادة للَّه، وسائر أركان الإسلام، بل هو من سَلِمَ المسلمون من شرِّ لسانه، وشرِّ يده، وخصَّ اللسانَ بالذكر، لأنه المعبِّر عمَّا في النفس، وكذلك الأمرُ بالنسبة إلى اليد، لأن أكثر الأفعال تكون باليد.

وجاء في بعض الروايات زيادة (والمؤمنُ من أَمِنَه الناسُ على دمائهم وأموالهم).

ما يُستفاد من الحديث

الأول: في هذا الحديث من أنواع البديع، ما يسمى (بجناس الاشتقاق)، فقد اشتقَّ من الإسلام لفظ المسلم، ومن الإيمان لفظ المؤمن، وهذا في علم البديع، له مكانة رفيعة يدركها أهل الأدب.

الثاني: وفيه بيانُ حقيقةِ معنى الإسلام والإيمان، وأنَّ أفضل المسلمين من أدَّى حقوق اللَّه، وحقوقَ عباده.

الثالث: وفيه التنبيهُ بالأدنى على الأعلى، فمن أحسَنَ معاملةَ إخوانه، فالأولى به أن يُحْسِنَ معاملتَه مع ربه.

باب (إطعام الطعام وإفشاء السلام من الإسلام)

١٢ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ).

[الحديث طرفاه في: ٢٨، ٦٢٣٦]

obeikandl.com

ومرادُ السائل بقوله (أيُّ الإسلام خيرٌ) أيْ أيُّ شُعَب الإسلام أحبُّ عند اللَّهِ وأفضلُ؟ فهو سؤالٌ عن أفضل الأعمال في الإسلام.

شرحُ الحديث

في هذا الحديث بيانُ فضائل خصال الإسلام، ومرادُ السائل أن يقول: أيُّ أعمال البرِّ والخير، أفضلُ عند اللَّه تعالى، يا رسول اللَّه؟ فأجابه ﷺ: **(أن تُطعِمَ الطعامَ، وتبدأ السَّلامَ على من تعرفه ومن لا تعرفه)**.

لأن إفشاء السلام، شعارُ أهلِ الإسلام لقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١] أي ليسلِّم بعضكم على بعض».

فإن قيل: إنَّ السؤال كان متقارباً في اللفظ (أيُّ الإسلام أفضل)؟ و(أيُّ الإسلام خير)؟ وجاءت الإجابةُ مختلفة، فكيف صحَّ ذلك؟

فالجواب: أنه اختلف باختلاف حال السائلين، وبحسب الوقت والمصلحة.

ففي الأول: حذَّر ﷺ من إيذاء المؤمن، وممن يحتمل صدور الأذى منه، فقال ﷺ: «**أفضلُ الإسلام من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

وفي الثاني: حثَّ على الإطعام، لحاجة المهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم لعونهم وإطعامهم، لِمَا كانوا عليه من الجُهد والحاجة، وكان هذا حين دخل المهاجرون المدينة المنورة.

كما رواه الترمذي من حديث عبد اللَّه بن سلام، أنَّ أول كلام سمعه من رسول اللَّه ﷺ أنه كان يقول: **(أيُّها النَّاسُ: أطعموا الطعامَ، وأفْشوا السلامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصلُّوا بالليل والناسُ نيام، تدخلوا الجنة بسلام)**.

فالرسول ﷺ كالطبيب المداوي، يصف الدَّواءَ، بعد تشخيص الداء، على حسب الحاجة والضرورة.

تنبيه لطيف

قولُه ﷺ: **(على من عرفتَ ومن لم تعرف)** مرادهُ: أَنْ لا يَخُصَّ بالسلام، أحداً من العظماء والكبراء، بل سلِّمْ على جميع المسلمين، الأغنياءِ منهم والفقراء، من عرفتَ منهم، ومن لم تعرفه، تأليفاً لقلوب المؤمنين، ومراعاةً للأخوَّة الإيمانية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات].

openkanal.com

ما يستفاد من الحديث

١ ـ فيه الحثُّ على إطعام الطعام، الذي هو أمارةُ الجود والكرم، وفيه نفعُ المحتاجين، وسدّ الجوع الذي استعاذ منه النبيُّ ﷺ.

٢ ـ وفيه إفشاءُ السلام، الذي يدلُّ على التواضع لإخوانه المؤمنين، وتأليف قلوبهم، واجتماع كلمتهم، وتعميم هذا السلام، قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١] وأنَّ السلام يعمُّ من عرفناه، ومن لم نعرفه.

٣ ـ وفيه حبُّ الخير لجميع المسلمين، كما يحبُّ المؤمنُ الخيرَ لنفسه.

بابٌ (من الإيمان أن يحبَّ لأخيه ما يحبُّه لنفسه)

١٣ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: **(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)**.

شرح الألفاظ

(**لا يؤمن أحدكم**) أي لا يكملُ إيمانُ الإنسان، حتى يحبَّ لأخيه المسلم ما يحبُّه لنفسه، من جميع وجوه الخير والإحسان، من النفع، ودفع الضُرِّ.

وجاء في رواية النسائي (**حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه من الخير**).

قال النووي: أصلُ المحبَّة: الميلُ إلى ما يوافق المُحِبَّ، ثم هذه المحبةُ قد تكون بما يستلذُّه بحواسِّه، كحسنِ الصورة، وبما يستلذُّه بعقله، كمحبة الفضل والجمال، وقد يكون بسبب الإحسان، ودفع المضارِّ، والمراد أن يحصل لأخيه المؤمن، نظيرُ ما يحصل له من الخير والنفع، وستْر المعايب، وأن يكون هذا الحبُّ من أجل اللَّه، وفي اللَّه، لا لكسب ومغنم دنيوي، لحديث (**من أحبَّ للَّه، وأبغَضَ للَّه ـ أي من أجل مرضاة اللَّه ـ وأعطى للَّه، ومَنَع للَّه، فقد استكمل الإيمان**).

وهذا الحديث والذي سبقه، ذكرهما البخاري في صحيحه، لبيان أنَّ الإيمانَ ليس التصديق والاعتقادُ بوجود اللَّه ووحدانيته فقط، وإنما هو كما ذكره في مقدمة الباب (إقرارٌ باللِّسان، واعتقادٌ بالجَنَان ـ أي بالقلب ـ وعملٌ بالأركان) وأنه يزيد وينقُصُ، يزيد بالأعمال الصالحة، وينقص بالمعاصي والقبائح.

باب (حُبِّ الرسولِ ﷺ من الإيمان)

١٤ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (فوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ).

[انظر شرحه في الحديث الآتي رقم ١٥].

١٥ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِه وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

شرح الألفاظ

(**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**) قَسَمٌ من أفخم أنواع القسم، والمراد منه تأكيد الكلام بما يدلُّ على أهميَّة الأمر، فالرسولُ ﷺ يحلف بجلال اللَّه وعظمته، على أنَّ الإيمان لا يكون صادقاً ولا كاملاً، إلَّا إذا كان حبُّ الرسول ﷺ أعْظَمَ من حبِّ جميع الخلق، وزاد أنسٌ على رواية أبي هريرة قوله: (**والنَّاسِ أَجْمَعِين**) ليبيِّن أن حبَّه ﷺ من الأمور الشرعية الهامة، وحين سمع عمر رضي اللَّه عنه هذا الحديث قال يا رسول اللَّه: لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شيء، إلَّا من نفسي!! فقال له ﷺ: (**لا يا عمر، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك**)، فقال عمر: واللَّهِ لأنت أحبُّ إليَّ من كل مخلوق حتى من نفسي، فقال له ﷺ: (**الآنَ يا عمر**) أي الآن كَمُلَ دينُك وإيمانُك.

(**أحبَّ إليه**) المراد بالمحبة هنا: حبُّ القصدِ والاختيار، لا حبُّ الطَّبْع، لأن الإنسانَ بطبعه يحبُّ كلَّ ما يجلب الخير لنفسه، وهنا شيء زائد، وذلك أنه لو

تعرَّضَتْ نفسُ الرسول لشيء من الخَطَر، يجب على المؤمن أن يقدِّم نفسه فداءً له ﷺ، ولو رغبَتْ نفسُه في شيء، حذَّر منه الرسول ﷺ، يجب أن يترك الأمر المحبوبَ لنفسه، ويأخذ بما يحبُّه الرسول وهكذا في جميع الأشياء.

أقسامُ المحبة: ثمَّ إنَّ المحبة تقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: محبَّةٌ عاطفية، كمحبة الرجل لولده، وَزَوجته، ومحبتُه لمن قدَّم إليه شيئاً من الخير المعروف.

الثاني: ومحبةٌ فطرية، كمحبة الطعام والشراب، وجميع المشتهيات، كما جاء في الحديث الشريف: **(حُبِّب إليَّ من دنياكم: النساءُ، والطيبُ، وجُعلت قرَّةُ عيني في الصلاة)** قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . . ﴾ [آل عمران: ١٤].

الثالث: ومحبةُ إجلالٍ وتعظيم، كمحبة اللَّه ورسوله، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ . . . ﴾ [المائدة: ٥٤].

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه جوازُ القَسَم، على الأمر الذي فيه مصلحة دينية، أو بلغ غاية الأهميَّة، كما في الحديث (والَّذي نَفْسي بيَده).

الثاني: وفيه تعظيمُ أمر الرسول ﷺ، وإجلالُه، وطاعتُه في جميع ما جاء به، والاقتداءُ به في سيرته وأحواله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ . . . ﴾[آل عمران: ٣١].

الثالث: وفيه إيثارُ المصلحة الدينية، على المصالح الدنيوية، فحبُّ الرسول ﷺ فريضةٌ دينيَّة.

قال ابنُ حَجَر: ومن علامة الحب المذكور، أن يتمنَّى المؤمنُ أن لو عاش زمَنَ النبي ﷺ أن ينصره ويؤازره، ويدفع عنه كلَّ مكروه.

قال القاضي عياض: ومن محبته ﷺ نصرُ سنته، والذبُّ عن شريعته، وتمنِّي حضور حياته، فيبذل ماله، ونفسه دونه ﷺ.

ومن مظاهر الحبِّ الصادق: ما قاله الصحابي الجليل (عَمْرُو بنُ العاص) رضي اللَّه عنه: (وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول اللَّه ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنتُ أطيقُ أن أملأ عيني منه، إجلالاً له ﷺ) رواه مسلم.

صِدْقٌ ووفَاءٌ

في غزوة أُحد حين أُفرد رسولُ اللَّه ﷺ وجاءت النِّبَالُ نحوه، تَترَّس حوله **تسعة** من الصحابة، كلُّهم يُقدِّم روحه فداءً لرسول اللَّه ﷺ، وكان (أبو طلحة) يقول للرسول ﷺ: (بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، لا ترفَعْ رأسَك، لا يصيبك سهمٌ من سهام القوم، نَحْري دون نَحْرك). وكانت السهام تنزل على ظهر (أبي طلحة) وهو محوِّط به كالترس، يحمي الرسولَ ﷺ بنفسه، وقد قُتل منهم سبعة في تلك المعركة، الواحدُ تِلْوَ الآخر، وكلُّهم كان دِرْعاً يقيه من النِّبال، رضوان اللَّه عليهم جميعاً.

هذه هي المحبة الصادقة التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، فقد استشهدوا جميعاً فداءً لرسول اللَّه ﷺ.

بابُ (حَلاوةِ الإيمَانِ)

١٦ ـ عَنْ أَنَسِ بن مالك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ).

[الحديث أطرافه في: ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١]

شرح الألفاظ

(**ثَلَاثٌ مَنْ كنَّ فيه**) أي ثلاثُ خصال حميدة، وثلاثُ صفات جليلة، منْ كانت فيه، فقد تحقَّق فيه الإيمانُ، ووجد حلاوتَه في قلبه.

(**وَجَدَ حلاوةَ الإيمان**) معنى حلاوة الإيمان: لذَّته، والشُّعورُ بعظيم نعمةِ الإيمان في قلبه، وهو استلذاذه بالطاعة، وتحمُّل المشقة في رضى اللَّه عزَّ وجل، فالإيمانُ له حلاوةٌ في القلب، كحلاوة الطعام اللذيذ، بعد شدة الجوع والعطش.

obeikandl.com

(**أحبَّ إليه ممَّا سواهما**) أي يكون حبُّ اللَّه ورسوله، أعظَمَ عنده من كل شيءٍ في الدنيا، من المال، والولد، والزوجة، والمتاع، وغير ذلك من نعيم الدُّنيا.

(**لا يُحِبُّه إلَّا للَّه**) أي لا يحبُّ الرجلَ لمصلحة ولا لمنفعة، وإنما من أجل اللَّه، وطلباً لرضوانه، فتكون محبته خالصةً لوجه اللَّه تعالى.

(**أن يعود في الكفر**) أي يكره العودة إلى الكفر، فيصبح كافراً، بعد أن نجَّاه اللَّه منه بالإسلام، كما يخاف أن يُقذف في النار، المستعرةِ اللَّاهبة.

قال النووي: هذا حديثٌ عظيم، وأصلٌ من أصول الإسلام. كيف لا، وفيه محبة اللَّه ورسولِه، التي هي أصل الإيمان، بل هي عينُه، ولا تصحُّ محبة اللَّه ورسوله، ولا كراهة الرجوع إلى الكفر، إلَّا لمن قويَ الإيمان في نفسه، وانشرح له صدره، وخالط هذا الإيمان دمَه ولحمه، فهذا الذي يجد حلاوة الإيمان.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ حبَّ اللَّه ورسوله، ينبغي أن يكون أغلى من كل شيء في هذه الدنيا ومن جميع مُتع الحياة.

الثاني: وفيه أن تكون المحبة بين الرجل وصاحبه، خالصةً لوجه اللَّه تعالى، لا لمنافع دنيوية.

الثالث: وفيه النُّفرةُ عن الكفر والهربُ منه، كما يهرب الإنسان من نار الجحيم، وكما يهرب من الوحش المفترس.

الرابع: وفيه أنَّ محبَّةَ اللَّهِ وحده لا تكفي، حتى يقْرِنَ بها الشخص محبَّة رسوله عليه الصلاة والسلام.

الخامس: وفيه أنَّ الإيمان في القلب، له حلاوةٌ، أعظمُ من حلاوة الطعام والشراب، على الجوع والعطش.

السادس: وفيه أنَّ الأمور الثلاثة، التي ورد بها الحديث، هي عنوان كمال الإيمان، الموصلِ إلى تلك اللَّذَّة، وهي برهانُ رسوخ الإيمان في قلب المسلم.

obeikandl.com

بابُ (علامة الإيمان حبُّ الأنصار)

١٧ ـ عَنْ أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ).

[الحديث طرفه في ٣٧٨٤]

شرح الألفاظ

(**آيةُ الإيمان**) أي علامةُ الإيمان، والآيةُ في اللغة معناها: العلامةُ، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ﴾ [يس: ٣٧] أي علامة لهم على قدرة اللَّه الليلُ والنهار، يتعاقبان بنظام دقيق، وقال الشاعر:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

(**حُبُّ الأنصار**) الأنصارُ: جمعُ ناصر، كالأصحاب جمعُ صاحب، سُمُّوا أنصاراً، لنصرتهم للنبيِّ ﷺ، وهم قبيلتان كانتا قبل إسلامهما تُعرفان بـ(الأوس) و(الخزرج) وكانت بينهما حروب طاحنة مدمِّرة، دامت عشرات السنين، حتى كاد بعضُهم يُفْني بعضاً، فلمَّا أسلموا سمُّوا (أنصاراً) قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وصار حبُّهم من الإيمان، لأنهم آوَوا النبيَّ وأصحابَه المهاجرين، فصار حبُّهم ديناً، وبغضُهم نفاقاً.

(**بُغْضُ الأنصار**) البغضُ: ضدُّ الحبِّ، وهو كراهية أحدٍ من هؤلاء الصحابة، والنفاقُ: إظهارُ الإيمان وإبطانُ الكفر، وهذا النوع أخبث من الكفر الظاهر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

تنبيه لطيف هام

إنما كان حبُّ الأنصار من الإيمان، وبغضُهم من النفاق، لأنَّ اللَّه تعالى أعزَّ بهم الإسلامَ، وهم الذين بذلوا أرواحهم وأموالهم لنصرة هذا الدين، ثم هم الذين

أَكْرَمُوا المهاجرين، وآثروهم على أنفسهم، ولهذا أثنى تعالى عليهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] خَصَاصةٌ أي حاجةٌ إلى المال وفاقة شديدة.

ولهذا استحقوا التكريم من ربِّ العزة والجلال، وقد قال ﷺ عن أصحابه: (**اللَّهَ اللَّهَ في أصحابي، لا تتخذوهم هَدَفاً من بعدي، فمن أحبَّهم فبحبِّي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم**...) الحديث، أي لا يحبُّهم إلَّا من أحبَّني، ولا يبغضُهم إلَّا من أبغضني.

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الحثُّ على حبِّ الأنصار، لأنهم ركنُ الإسلام وحماتُه.

الثاني: وفيه أنَّ حبَّ الأنصار، نابعٌ من قوة إيمان المسلم، لذلك كان من الدين.

الثالث: وفيه التنويهُ بعظيم فضلهم، والتحذيرُ الشديد من بغضهم.

الرابع: وفيه أنَّ حُبَّ المؤمن للصالحين، واجبٌ ديني، فكيف بأصحاب الرسول رضوان اللَّه عليهم، الذين بذلوا أموالهم وأرواحَهم، لنصرة دين اللَّه!؟

باب (بيعة الصحابة الرسول ﷺ)

١٨ ـ عَنْ عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، ـ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ـ (بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ، تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً، فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ) قال: عُبَادَةُ فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.

[الحديث أطرافه في: ٣٨٩٢، ٣٨٩٣، ٣٩٩٩، ٤٨٩٤، ٦٧٨٤، ٦٨٠١، ٦٨٧٣، ٧٠٥٥، ٧١٩٩، ٧٢١٣، ٧٤٦٨]

شرح الألفاظ

(**وحوله عِصابة**) أي حوله مجموعة من أصحابه الكرام يحيطون به، والعِصَابَةُ: من العشرة إلى الأربعين، وما زاد لا يسمى عصابة.

(**بايعوني**) البيعةُ: عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، على النصرة والجهاد، وغير ذلك، وقد كانت البيعةُ واجبةً في بدءِ الإسلام، وكانت بيعةً على الموت في سبيلِ اللَّه تعالى، وعلى عدم الفرار من المعركة، كما حدث في «صلح الحديبية»، حيث بايع الصحابةُ رسولَ اللَّه ﷺ على الموت والشهادة، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ . . .﴾ [الفتح: ١٠] وهنا كانت البيعةُ على الطاعة، وعدم الشرك باللَّه، وترك الفواحشِ الكبيرة.

(**ولا تقتلوا أولادكم**) المراد بقتل الأولاد هنا «وأدُ البنات» حيث كان ذلك شائعاً عندهم في الجاهلية ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩] فقد كانوا يدفنون البَنَاتِ، وهنَّ على قيد الحياة، خشيةَ العار، أو خوفاً من الفقر ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]. .

(**ولا تأتوا ببهتان**) البهتانُ: الكذبُ والافتراء الذي يَبْهتُ سامِعَه أي يُدْهِشه لفظَاعته، يُقال: بَهَتَه بهتاناً، إذا كذَبَ عليه، وهو منه بريء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

(**ولا تَعْصُوا في معروف**) أي لا تعصوا أمري فيما آمركم به، من طاعة اللَّه عزَّ وجلَّ، والمعروفُ: هو اسمٌ جامعٌ لكلِّ خير، ولكلِّ أمرٍ حسن، ممَّا استحسنه الشرع وأمر به.

(**فَمَنْ وَفَى منكم**) أي ثبتَ على العهد والبيعة، يُقال: وَفَى بالعهد، وأَوْفَى به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾؟ [التوبة: ١١١] أي لا أحد أوفى بوعده من اللَّه جلَّ وعلا.

(**ومن أصاب من ذلك شيئاً**) أي فَعَلَ ما يخالف البيعةَ، من المعاصي والآثام، وارتكاب أنواع المنكرات.

(**فهو كَفَّارَةٌ له**) أي إذا عُوقِبَ بإقامةِ الحدِّ عليه، فيكون ذلك كفارةً لذنبه.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ إقامةَ الحدود، على أهل الكبائر والمعاصي، كفارةٌ للذنوب، كما

قال عليٌّ رضي اللَّه عنه: (من عُوقب في الدنيا، فاللَّهُ أكرمُ من أن يُثَنّي بالعقوبة عليه في الآخرة) رواه الترمذي.

الثاني: وفيه أنَّ من مات من أهل الكبائر قبل التوبة، فأمرُهُ إلى اللَّه تعالى، إن شاء عذَّبه ثم أدخله الجنة، وإن شاء غفر اللَّه، لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للمعتزلة، القائلين بأنه يُخلَّد في النار، إذا لم يتب.

الثالث: وفي الحديث ردٌّ على الخوارج، الذين يكفِّرون المؤمنين بالذنوب والكبائر، ويقولون: إذا لم يتب من الذنوب، فلا بدَّ أن يُعذَّب بالنار.

الرابع: وفيه عدمُ الحُكْم بالنار، على أحد من المسلمين، مهما كثُرَ ظُلْمُه، وفُجُورُه.

الخامس: وفيه أنَّ الأمورَ التي تتعلق بالجهاد، ينبغي فيها أخذُ البيعة من المسلمين، كما فعل ﷺ.

السادس: وفيه بيانُ فَضْلِ من حَضَر (غزوَة بدر)، من الصحابة رضوانُ اللَّه عليهم، لقوله ـ وكان شهد بدراً ـ لأنها أول الغزوات الإسلامية، وفيها كان النصر المبين للمسلمين، حتى سمَّاها القرآن يوم الفرقان: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ [الأنفال: ٤١].

السابع: وفيه أنَّ الحدودَ يقيمها الحاكمُ، ولا تُترك للناس، لئلا تحصل الفوضى، ويضطرب الأمنُ.

تنبيهٌ وتوجيه

بيعةُ الرسول ﷺ للصحابة، حدثت ثلاث مرات، وهي كالآتي:

الأول: (بَيْعَةُ العَقَبة) بِمِنَىٰ للأنصار، وفيها قوله ﷺ: **(أبايعكم على أن تمنعوني ممَّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم)**.

الثاني: (بيعةُ الحُدَيْبية) حين منعه المشركون من دخول مكة، وكانت على الموت في سبيل اللَّه.

الثالث: بيعة النساء حين نزلت آية الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ . . . فَبَايِعۡهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢].

openkanal.com

بابُ (الفرارِ من الفتن)

١٩ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ).

[الحديث أطرافه في: ٢٣٠٠، ٣٦٠٠، ٦٤٩٥، ٧٠٨٨].

شرح الألفاظ

(**يُوشِكُ**): أي يَقْرُب، ماضيه «أوشك»، ومن أنكر استعماله ماضياً، فقد أخطأ، قال جريرٌ:

إذا جَهِلَ اللئيمُ ولم يُقدِّر لبعضِ الأمْرِ أوشَكَ أن يُصَابا

(**شَعَفَ الجِبالِ**) أي رؤوسَ الجبال، يُجمع على شِعَاف، وشُعُوف، وهو الأعالي من كل شيء.!

(**ومَواقِعَ القَطْر**) أي مواضعَ نزول المطر، لوجود العُشب فيها، حيث يكثر الخيرُ والزرع.

(**يفرُّ بدينه من الفتن**) أي هرباً من الفتن، وحفاظاً على دينه في آخر الزمان.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ فضل العزلة عن الناس، في أيام الفتن والمِحَن، وكثرةِ المصائب والبَلَايا.

الثاني: وفيه الاحترازُ عن الفتن في آخر الزمان، حيث تكثر المنكرات والمعاصي.

الثالث: وفيه الإخبارُ بأنه يكون في آخر الزمان، فتنٌ عظيمة، وفساد بين الناس، وهذا من معجزاته ﷺ، حيث أخبر عن بعض الأمور الغيبيَّة، وحدثتْ كما أخبر ﷺ.

obeikandl.com

تنبيهٌ لطيفٌ هام

العزلةُ في أيام الفتنة مطلوبة، إلا إذا كان الشخص له عِلْمٌ وقُدْرة على السعي في إزالتها، وقد ذهب الجمهور إلى تفضيل الخُلطة، لِمَا فيها من اكتساب الفوائد، وشهودِ شعائر الإسلام، وإيصالِ الخير إليهم، بتعليمهم وتحذيرهم من الفواحش والمنكرات، وإن لم يكن له قدرة على ذلك، وخشي على نفسه من الوقوع في المهالك، فالعزلةُ له أفضلُ، لسلامة دينه، واللَّه أعلم.

بابُ (أمرِ الرسول ﷺ للناس بما يُطِيقون)

٢٠ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْها، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا).

شرح الألفاظ

(**بما يطيقون**) أي أمرهم بما يستطيعون فعله، من الأعمال الصالحة، يقال: أطاق يُطيقُ إطاقةً، إذا كُلِّف بشيء يستطيعه، ويقدرُ على فعله.

(**لسنا كهيئتك**) أي ليس حالُنا كحالك، فأنت قد غفر اللَّه لكَ ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر، ونحن لسنا كذلك، وأرادوا بهذا الكلام، أن يأذن لهم في الزيادة من العبادة والخير.

(**أنا أتقاكم وأعلمُكم باللَّه**) أي أنا أخوفُكُم من اللَّه، وأشدُّكم خشيةً له، أشار ﷺ إلى كماله في (القوة العَمَلية) أي القدرة على الكثرة من العبادة، و(العِلْمية) أي المعرفة باللَّه عزَّ وجل، والكمالُ منحصرٌ فيهما: العلمُ، والعملُ.

obeikandl.com

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الأعمالَ الصالحة ترتقي بصاحبها، إلى المراتب الرفيعة، من رفع الدرجات، ومحو السيئات.

الثاني: وفيه أنَّ الأَوْلى في العبادة: التوسُّطُ، وعدمُ إرهاق النفس، ليستمرَّ عليها، ولا ينقطع عن العبادة.

الثالث: وفيه الوقوفُ على ما جاء به الشارع، من عزيمةٍ أو رخصة، والأخذُ بالأرفق من الأحكام، لحديث **(إنَّ المنْبَتَّ، لا أرضاً قَطَعَ، ولا ظهراً أبقى)** ومعناه: أنَّ الذي يُلزم الدابةَ على الإسراع يُهلكها، ولا يصلُ إلى بلده.

الرابع: وفيه الإشارةُ إلى شدة رغبة الصحابة في العبادة، وطلبُهم الازدياد من الخير.

الخامس: وفيه مشروعيةُ الغضب للَّه، عند مخالفة الأمر الشرعي، والإنكارُ على من خالفه.

السادس: وفيه الدلالةُ على رِفْق النبيِّ ﷺ بأمته، وبيانُ أنَّ الدينَ يسرٌ، ليس فيه عسر.

السابع: وفيه جوازُ أنْ يخبر الإنسان بفضيلته، إذا دعت إلى ذلك الحاجة، كقول النبي ﷺ: **(أنا أعلمكم باللَّه وأتقاكم له)** وقولُ يوسف الصدِّيق عليه السلامُ: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

٢١ ـ [الحديث ـ ٢١ طرفه في: ١٦] وانظر شرحه في الحديث رقم (١٦) المتقدم ذكره.

بابُ (خروج من كان في قلبه ذرة من إيمان من النار)

٢٢ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ

الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ ـ شَكَّ مالِكٌ ـ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً).

[الحديث أطرافه في: ٤٥٨١، ٤٩١٩، ٦٥٦٠، ٦٥٧٤، ٧٤٣٨، ٧٤٣٩]

شرح الألفاظ

(**مثقال حبة**) أي وزن حبة، والمثقالُ كالمقدار، وزناً ومعنى، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] أي يعمل من الخير وزنَ ذرَّة يجد ثوابه.

(**خردل**) الخردلُ: نباتٌ معروفٌ يؤكل، بذوره أصغرُ البذور، يُضرب به المثل.

(**قد اسودُّوا**) أي صاروا سوداً كالفحم، من تأثير النار عليهم، واحتراقهم بها.

(**كما تنبت الحِبة**) (الحِبَّة) بكسر الحاء: بذور الصحراء مما ليس بقوت، وأمَّا (الحَبَّة) بفتح الحاء فهي حَبَّةُ الحنطة، والشعير، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١].

(**في جانب السيل**) يراد به مسيلُ ماء السيل، حيث تنبت على أطرافه النباتات والأزهار البهيجة.

(**صفراءُ مُلْتوية**) أي صفراءُ متمايلةٌ من الحسن والنضارة.

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث دليل على أنه لا يُخلَّد في النار، من كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من الإيمان، لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا...﴾ [النساء: ٤٠].

الثاني: وفيه بيانُ تفاضلِ أهلِ الإيمان بالأعمال، فمنهم من يكون إيمانه راسخاً، قوياً كالجبال، ومنهم من يكون إيمانه ضعيفاً، ليس فيه إلَّا مِثلُ الذرة من الإيمان.

الثالث: وفيه أنَّ أهل المعاصي والذنوب، يُعذَّبون في النار، حتى يصبحوا سوداً كالفحم، ثم يخرجون منها بشفاعة سيد المرسلين ﷺ، ولو كان إيمانهم ضعيفاً بوزن الذَّرَّة.

obeikandl.com

تنبيه لطيفٌ

التشبيه في الحديث، صورةٌ منتزعة من متعدِّد، وهو ما يسمى (بالتشبيه التمثيلي) من حيثُ ضعفُ النبات، ومن حيثُ الحسنُ والنضارة.

والمعنى: أنَّ من كان في قلبه وزن حبةٍ من إيمان، يخرج من ذلك الماء نضيراً حسناً، في غاية الحسن، كخروج الريحان الذي ينبت على جانب السيل أصفر زاهياً.

وفي هذا الحديث: دليل ساطع على خروج العصاة من المؤمنين من النار، مهما كان إيمانهم ضعيفاً، ولا يُخلَّد في النار إلا الكُفَّارُ الفُجَّار.

باب (فضل عمرَ رضي اللَّه عنه وقوَّةِ دينه)

٢٣ ـ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: (بَيْنَا أَنَا نَائمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الدِّينُ).

[الحديث أطرافه فيه: ٣٦٩١، ٧٠٠٨، ٧٠٠٩]

شرح الألفاظ

(**يُعْرضون عليَّ**) أي يمرُّون أمامي ويظهرون عليَّ وأنا أُبْصِرهم.

(**وعليهم قُمصٌ**) أي ثياب يلبسونها، جمع قميص وهو الثوب، منها الطويل، ومنها القصير، الذي يبلغ ثَدْيَ الرجل، لشدَّة قِصَره، والثديُ يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ.

(**وعُرِضَ عليَّ عمَرُ**) أي ظهر لي عمر، وهو يلبس ثوباً طويلاً فضفاضاً.

(**قالوا فما أوَّلْتَ**)؟ أي بماذا عَبَّرْتَ هذه الرؤيا المنامية يا رسولَ اللَّه؟

(**قال: الدِّينُ**) أي قوةُ دِين عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.

obeikandl.com

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث دلالة على تفاضل أهل الإيمان يوم القيامة.

الثاني: وفيه دلالة على فضيلة عمر رضي اللَّه عنه، فقد شهد له الرسول ﷺ بصلابة الإيمان.

الثالث: وفيه جوازُ تعبير الرؤيا المنامية، وسؤالُ أهل الفضل والصلاح عن تعبيرها.

الرابع: وفيه الثناءُ العاطرُ، على أهل الفضل والصلاح، إذا لم يشعر الممدوحُ بالعُجب، ولم يدخل إلى نفسه شيءٌ منه.

الخامس: وفيه التخلّقُ بأصحاب رسول اللَّه رضوانُ اللَّه عليهم، والاقتداءُ بسيرتهم العطرة، لاسيَّما الشيخان (أبا بكر، وعمر).

تنبيهٌ لطيفٌ

هذه رؤيا منامية، رآها رسول اللَّه ﷺ في نومه، وفسَّر هذه الرؤيا بصلابة الدين، والتعبيرُ من الرسول حقٌّ، فقد كان عمرُ رضي اللَّه عنه من أشدِّ الصحابة تمسكاً بالدِّين، ولذلك رآه الرسول يجرُّ ثوبه، ورؤيا الأنبياء حقٌّ، بل هي قِسْمٌ من أقسام الوحي، فقد رأى الرسولُ ﷺ أنه دخل مكة، وطاف بالبيت الحرام، هو وأصحابه الكرام، وبشَّرهم بهذه الرؤيا، ونزل القرآن يخبر بتحقُّق الرؤيا ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ [الفتح: ٢٧] وحقَّق اللَّه لرسوله هذه الرؤيا المنامية، وهذه كرامة عظيمة لعمر بنِ الخطاب رضي اللَّه عنه.

بابُ (الحياء من الإيمان)

٢٤ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ـ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ ـ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ).

[الحديث طرفه في: ٦١١٨]

شرح الألفاظ

(**يَعِظُ أخاه**) أي ينصح ويعاتب أخاه في شأن الحياء، وكان الرجلُ كثيرَ الحياء، فكان يلوم صاحبه على حيائه.

(**فقال الرسولُ دَعْه**) أي اتركه على هذه الخصلة الحميدة، والخُلق الحسن.

(**فإنَّ الحياءَ من الإيمان**) أي فإنَّ الحياء ـ أي الاستحياء ـ فرع من فروع الإيمان، والمراد بالحياء (الحياءُ الشرعيُّ) الذي يمنع عن مقارفة الفواحش والرذائل، لا الحياءُ الذي يضيع فيه حقُّ الإنسان، ويستحي أن يطلبه.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه التنويهُ بفضيلة الحياء، وكونه من مستلزمات الإيمان.

الثاني: وفيه أنَّ الحياءَ خُلُق المؤمن، وهو علامةٌ على قوة إيمانه.

الثالث: وفيه أنَّ الحياءَ كلُّه خير، ولا يأتي إلَّا بالخير، ولهذا مُدح به النبيُّ ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ . . .﴾ [الأحزاب: ٥٣].

شرحُ الحديث

حثَّنا الدينُ الإسلاميُّ الحنيف، على التمسُّك بخُلُق الحياء، لأنه يعصِمُ الإنسانَ، عن فعل القبائح والمنكرات، وإذا فُقد الحياءُ من شخص، ارتكب كلَّ فاحشة، وفَعَل كل قبيح، ولهذا قال النبي ﷺ: (إنَّ ممَّا أدرك الناسُ من كلام النبوَّة ـ أي مواعظ الأنبياء الكرام ـ إذا لم تستح فاصنع ما شِئْتَ) رواه البخاري.

قال الشاعر:

فَلَا واللَّهِ ما في العَيْشِ خيرٌ ولا الدُّنْيَا إذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ

يَعِيشُ المَرْءُ ما اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ويَبْقَىٰ العُودُ ما بَقِيَ اللِّحَاءُ

❁ ❁ ❁

باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة)

٢٥ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ).

شرح الألفاظ

(**أُمِرْتُ**) أي أمرني اللَّه عزَّ وجل، إذ لا آمرَ للرسول ﷺ إلَّا اللَّهُ ربُّ العزة والجلال.

(**أن أُقاتِلَ النَّاسَ**) المراد بالناس جميع الكفار، فيدخل فيهم المشركون عَبَدةُ الأوثان، وأهلُ الكتاب عَبَدةُ الصُّلْبان، وقيل: المراد بالناس عبدةُ الأوثان، دون أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لأنَّ قتالهم يسقط بقبولهم الجزية، لقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

(**يشهدوا أن لا إلٰهَ إلا اللَّه**) أي يشهدوا للَّهِ عز وجل بالوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة.

(**عَصَموا مِنِّي دِمَاءَهم**) أي حفظوا وصانوا من القتل دماءهم وأموالهم، لأنهم صاروا مسلمين.

(**إلَّا بحقِّ الإسلام**) أي إلَّا إذا فعلوا فعلاً يستحقون عليه إقامة الحدِّ، كالقتل العمد، والزنى للمُحْصَن، والرِّدَّة عن الإسلام، فيقتلون حدًّا.

(**وحسابُهُمْ على اللَّه**) أي نحنُ واجبُنا أن نحكم على الظاهر، وحسابُ السرائر والضَّمائر على اللَّه عزَّ وجل.

ما يستفاد من الحديث

الأول: يؤخذ من الحديث: أنَّ تاركَ الصلاة عمداً يُستتاب، ثم يُقْتل حدًّا إن لم يصلِّ.

الثاني: وفي الحديث دليل على قبول الأعمال الظاهرة، وتُتْرك السرائرُ إلى علَّام الغيوب.

الثالث: وفيه عدم تكفير أهل البدع، المقرِّين بالتوحيد، الملتزمين للشرائع.

الرابع: وفيه أنه لا بدَّ للدخول في الإسلام من النطق بالشهادة، لقوله: **(حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)**.

الخامس: وفيه وجوبُ قتال المشركين حتى يُسْلِموا، وقتالُ أهل الكتاب حتى يدفعوا الجزية.

السادس: وفيه أنَّ من أنكر شيئاً من فرائض الإسلام وجحد فرضيته، يقتل حدًّا، لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

تنبيه هام

إنما أُمِر الرسولُ ﷺ بقتال المشركين، لأنهم خطرٌ على البشرية جمعاء، لأنهم بكفرهم باللَّه، يفسدون في الأرض، فيمنعون أهل الإيمان من إقامة شعائر دينهم، ويُقدمون على سفك دمائهم، ويهدمون بيوت اللَّه، كما فعل الملاحدةُ الشيوعيون بالمسلمين، حينما استولوا على ديارهم، فأزهقوا الأرواح، ونهبوا الأموالَ، ودمَّروا بيوت العبادة، فأُمر المسلمون بقِتالهم، لكفِّ شرهم، وتطهير الأرض من رجسهم.

باب (من قال: إنَّ الإيمان هو العمل)

٢٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: سُئِل أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ).

[الحديث طرفه في: ١٥١٩]

شرح الألفاظ

(**سُئل ﷺ**) السائل هو: (أبو ذرّ الغفاري) وحديثُه مرويٌّ في العِتْقِ.

(**أيُّ العمل أفْضَل**)؟ أي أكثر ثواباً عند اللَّه تعالى؟ والفضلُ والفضيلةُ ضدُّ النقص والنقيصة، والصيغةُ هنا «صيغة تفضيل» كقولنا: فلانٌ أكرمُ، وأعلم، وأطهر.

(**الجهادُ في سبيل اللَّه**) أصلُ الجهاد: بذلُ الجُهدِ لنصرة دين اللَّه، والمراد به قتالُ الكفار، لإعلاء كلمة اللَّه، والسبيلُ: الطريقُ، وقُرِن (في سبيل اللَّه) أي لإعزاز الدين، لا لشهرةٍ، أو كسبٍ دنيوي.

(**حج مبرور**) أي حجٌّ مقبول، لا رياء فيه ولا سُمعة، وهو الذي لا يخالطه إثم، وعلامةُ الحجّ المبرور: أن يرجع الإنسانُ خيراً ممَّا كان.

قال البَدْرُ العينيُّ: من علامات القبول: أنه إذا رجع، كان حالُه خيراً مما كان عليه من قبل.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه الدلالة على نيل الدرجات العالية، والمراتب الرفيعة، بالأعمال الصالحة.

الثاني: وفيه تقديمُ الإيمان باللَّه ورسوله، على جميع الفرائض، لأنه الأصل لقبول الأعمال.

الثالث: وفيه بيانُ أنَّ الأفضل بعد الإيمان، الجهادُ في سبيل اللَّه، وبعده الحجُّ المبرور.

الرابع: وفيه التنبيهُ على التفاضل بين الفرائض والواجبات، فالإيمان أفضلُ الأعمال، ثم الجهادُ، ثم الحجُّ لمن استطاع إليه سبيلاً.

تنبيهٌ لطيفٌ هام

لا تَعَارضَ بين الأحاديث الشريفة، فقد كان ﷺ يُسْأل عن أفضل الأعمال؟ فيجيب «**الصلاةُ على وقتها**» لمن يعلمُ من حاله أنه يؤخِّرُ الصلاةَ، ويُسْأل عن أفضل الأعمال؟ فيقول: «**برُّ الوالدين**» لمن يظهر له من حاله أنَّه يَعِقُّ والديه، ويسأله الشابُّ القويُّ، ذو العضلات الفتيَّة؟ فيقول له: «**الجهادُ في سبيل اللَّه**» فالأفضليَّةُ تختلف

باختلاف الأحوال، والأشخاص، وهذه من (الحكمة النبويَّة) التي تتناسب مع أحوال الناس، مثل الطبيب الذي يصف لكل مريض ما يناسبه من الدواء، فصلواتُ ربي وسلامُه على من أُعطي الحكمةَ، وفصلَ الخطاب.

بابُ (متى يكون الإسلامُ على الحقيقة)؟

٢٧ - عَنْ سَعْدِ بن أَبِي وَقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَعْطَى رَهْطاً وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟! فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِناً، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِماً». فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِناً، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِماً» ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ»).

[الحديث طرفه في: ١٤٧٨]

شرح الألفاظ

(**أَعْطَى رَهْطاً**) الرَّهْطُ: الجماعةُ، ما كان دون العشرة من الرجال، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود: ٩١] وقد يُطلق على الشخص الواحد، كما في الحديث: «**جاء ثلاثةُ رهط إلى رسول الله**» أي ثلاثةُ رجال.

(**وسعدٌ جالس**) يريد نفسَه (سَعْد بن أبي وقَّاص) راوي الحديث، ويُسمى هذا بالتجريد، وهو أن يَنْتزع، المتكلِّم شخصاً آخر من نفسه، ويتحدَّثُ عنه، والأصلُ أن يقول: وأنا جالس.

(**رجلاً أعجبُهم إليَّ**) أي لم يعط الرسولُ رجلاً، هو في نظري أحقُّهم بالعطاء لفضله.

قال ابن حجر: واسمُ هذا الرجل (جُعَيل الضَّمْري).

(**مَا لَكَ عن فلان**)؟ أي لماذا رغبتَ عن عطائه، وعَدَلْتَ عنه فلم تعطه؟

(**إني لأَرَاه مؤمناً**) أي أظنُّ بل أعتقد أنه مؤمنٌ صادقٌ الإيمان.

(**فقال: بل مسلماً**) أي فقال النبيُّ ﷺ: لا تقل مؤمناً، لأن الإيمان خفيٌّ في القلب، لا يعلم حقيقة أمره إلَّا اللَّه، بل قُلْ: «مسلماً» لأن أمره ظاهر، يريد ﷺ أنَّ لفظة الإسلام، أولى بأن تقولها في هذا الموطن.

قال النووي: ليس فيه إنكار كونه مؤمناً، بل معناه النَّهيُ عن القطع بالإيمان لأنه خفيٌّ.

(**ثم غَلَبني ما أعلم منه**) أي غلبني عن السكوت ما أعلمُ من فضل (جُعَيْل) وحاجته إلى العطاء، لكونه من المهاجرين الفقراء، وهو أحقُّ بالعطاء.

(**فَعُدْتُ لمقالتي**) أي كرَّرتُ مقالتي، وكرَّر الرسولُ جوابه لي، ثم قال لي منبِّهاً إلى الحكمة من إعطاء الآخرين، وترك إعطائه: (إنِّي لأعطي الرجلَ وغيرُه أحبُّ إليَّ..) الحديث.

(**يَكُبَّه اللَّهُ في النَّار**) أي إني لأعطي إنساناً وغيرُه أحبُّ إليَّ منه، خشيةَ أن يطرحه اللَّه في النار على وجهه، لضعف إيمانه.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه بيانُ التفرقة بين (الإيمان) و(الإسلام) فأمرُ الإيمان خفيٌّ، والإسلام أمرُه ظاهر.

الثاني: وفيه جوازُ تصرُّفِ الإمام في بيت مال المسلمين، حسب المصالح، وتقديمُ الأهمّ فالأهمّ.

الثالث: وفيه جوازُ الشفاعة عند الإمام، لمن يُعْتقد فيه الخيرُ والصلاحُ.

الرابع: وفيه الأمرُ بالتثبت، وتركُ القطع لأحدٍ بالإيمان، أو بالجنة، فيما لم يثبت فيه نصٌّ شرعي، كالعَشَرة المبشّرين بالجنة، وكقوله ﷺ عن (عبد اللَّه بن سلام) إنه من أهل الجنة.

الخامس: وفيه استحبابُ ترك الإلحاح في السؤال، لأن سعداً كرَّر السؤال حتى بيَّنَ له الرسولُ ﷺ الحكمةَ من ترك عطائه.

السادس: وفيه أنه ينبغي أن يُعتذر للشافع، إذا لم يُؤخذ بطلبه، ويُبيَّن له عُذْرَه في ردِّها، كما وضَّحه ﷺ لسعدٍ رضي اللَّه عنه.

openkanal.com

تذكير وتبصير

قال ابنُ حَجَر في فتح الباري: ومُحَصَّلُ القصة أن النبي ﷺ كان يوسِّع العطاء، لمن أظهر الإسلام، تألفاً لقلبه، فلمَّا أعطى الرَّهط ـ وهم من المؤلَّفة ـ وتَرَكَ (جُعَيْلاً) وهو من المهاجرين، خاطبه سعدٌ في أمره، لأنه يرى أنه أحقُّ منهم، فأرشده النبي ﷺ إلى أمرين:

أحدهما: إعلامُه بالحكمة في إعطاء أولئك، وحرمانِ (جُعَيْل) مع أنه كان عند رسول اللَّه ﷺ أحبَّ إليه ممن أعطاهم.

والثاني: إرشادُه إلى التوقف عن الثناء بالأمر الخفي، دون الثناء بالأمر الظاهر، فإنَّ أمر الإيمان لا يعلمه إلَّا اللَّه، وأمرُ الإسلام واضح ظاهر، فَظَهَر بهذا فائدةُ ردّ الرسول ﷺ على سعد .اهـ. فتح الباري.

٢٨ ـ [الحديث ـ ٢٨ ـ طرفه في: ١٢]

قد تقدَّم شرحه في حديث رقم ١٢ فارجعْ إليه هناك.

باب (كُفْرانِ العَشِير)

٢٩ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: (أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ! قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ).

[الحديث أطرافه في: ٤٣١، ٧٤٨، ١٠٥٢، ٣٢٠٢، ٥١٩٧]

شرح الألفاظ

(أُريتُ النَّار) هذه من الرؤية البصريَّة، وذلك حين عُرج به ﷺ إلى السمٰوات العُلَا.

(**يكفرن**) لا يُراد به الكفرُ المخرجُ عن الدين، ولكن كُفْرُ النعمة، وجَحْدُ الإحسان، كما قال سبحانه: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

(**العَشِير**) أي الزوجُ المعاشرُ، من العِشْرة، بمعنى المصاحبة، والمصادقة.

(**الدهر**) يرادُ به طيلةُ الزمانِ، من بداية الحياة الدنيا إلى نهاية الحياة.

(**رأت منك شيئاً**) التنكير في (شيئاً) للتقليل، أي شيئاً قليلاً لا يوافق مزاجها، أو شيئاً حقيراً لا يعجبها.

(**ما رأيتُ منك خيراً قطُّ**) أي أنكرتْ كلَّ إحسان وجميل، لتغلُّب العاطفة في المرأة على عقلها، لذلك تُسرع في الإنكار، ثم تندم على صَنيعها، بخلاف الرجل فإنَّ عقله يغلب على عاطفته.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه تحريمُ جحودِ نعمةِ الزوج، وكفرانِ الحقوق والنِّعَم، وأنها من المعاصي والذنوب.

الثاني: وفيه التنبيهُ على أنَّ المعاصي تُنقص الإيمانَ، ولكنها لا توصل إلى الكفر، المخلِّد في النار.

الثالث: وفيه الدلالةُ على جواز إطلاق الكفر على (كفر النعمة) ولهذا قال ﷺ لمن سأله أيكفرنَ باللَّه؟ قال: (**يكفُرْنَ العَشِيرَ، ويَكْفُرن الإحسانَ**).

الرابع: وفيه التوعُّدُ بالنار، على كُفْران العشير والإحسان، ويدلُّ على أنهما من الكبائر.

الخامس: وفيه التفريقُ بين كُفْرٍ، وكُفْر، واختلافُ حكمهما، فالكفر باللَّه يخلّد صاحِبَه في النار، بخلاف كفر الإحسان، فإنه يوجب العقاب.

أقولُ: إذا كان جحودُ «نعمةِ الزوج» وإحسانِه، يوجب تعريض النفس للعذاب، فكيف بمن يجحد نعمةَ الخالق جلَّ وعلا، ولا يقرُّ بالفضل لمن أسدى إليه أنواع النعم؟ وصدق اللَّه العظيم ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

تذكير وتبصير

عجيبٌ أمرُ النساء، يبذل الرجلُ كلَّ ما في وسعه، لتهيئة أسباب الراحة والهناء

obeikandi.com

لزوجه، فيشقى ويتعب للإنفاق عليها، وتأمين حاجاتها لِيُسعدَها، فإذا ما غضبت يوماً من الأيام، أنكرت كل جميل وإحسان، وقالت: ما رأيتُ منك خيراً قطُّ!!

كيف تنكر الزوجةُ جميلَه وإحسانَه، لأبسط الأمور والأشياء؟ إنها غريزة العاطفة التي تغلب على المرأة، وقد حباها اللَّه بهذه العاطفة، لترعى بها الأولاد، وتحنُوَ عليهم، فالرجل فيه (عقلٌ وعاطفة)، لكنَّ العقل يغلب فيه على العاطفة، والمرأةُ كذلك فيها (عاطفةٌ وعقل) ولكنَّ العاطفة تتغلَّب على العقل، فهي في حالة الغضب لا تفكِّر بعقلها، ولذلك تنكر جميلَ زوجها، وتقول: ما رأيت منك خيراً أبداً!! ثم إذا هدأت نفسها أدركت خطأها، فندمت واعتذرت، لذلك ينبغي على الرجل أن لا يستغربَ هذا الخُلُقَ منها، وألَّا يستفزَّها حتى لا يسمع منها ما يزعجه، فسبحان الواهب الذي منح كلَّ مخلوقٍ، ما يناسبه من الصفات والمزايا، ليستمرَّ ركبُ الإنجاب والحياة، ولهذا أوصى الرسول ﷺ بالنساء لضعفهنّ، فقال: **(استوصوا بالنساء خيراً، فإنَّ المرأة خُلقت من ضِلْع أعوج، إن ذهبتَ تقيمُه كسرتَه، وكسرُها: طلاقها)** رواه البخاري.

بابُ (المعاصي من أمر الجاهلية)

٣٠ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: (إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»).

[الحديث طرفاه في: ٢٥٤٥، ٦٠٥٠]

شرح الألفاظ

(**سابَبْتُ رجلاً**) أي شتمتُه، والسبُّ هو القذفُ بالكلام البذيء، ممَّا لا يتناسب مع خُلُق المسلم، والمرادُ بالرجل الذي سبَّه: عبدُه ومملوكه.

(**فعيَّرْتُه بأمِّه**) أي نَسَبْتُه إلى العار، فقلت له: يا ابنَ السَّوداء، وكانت أمُّه أعجمية فنلتُ منها.

(**فيك جاهلية**) أي فيك خصلة من خصال أهل الجاهلية الذميمة.

(**إخوانُكم خَوَلُكم**) الخَوَلُ: المماليكُ والعبيدُ من الأتباع والخدم، يطلق على الواحد والجمع، والذكر والأنثى، والمراد أنَّ هؤلاء العبيد هم إخوانكم في الإنسانية، فلا ينبغي الإساءة إليهم، وقد جعلهم اللَّه تحت أيديكم، ولو شاء لجعلكم تحت أيديهم.

(**ولا تُكَلِّفوهم ما يَغْلِبهم**) أي لا تكلِّفوهم من الأعمال ما يُعْجِزهم، ولا يستطيعون القيام به.

(**فأَعِينُوهم**) أي إن كلّفتموهم بشيء شاق، فأعيونهم بأنفسكم بالمساعدة عليه.

سبب ورود الحديث

ذكر البخاريُّ سببَ هذا الحديث الشريف، ووضَّح القصةَ التي وقعت بشأن ذكره، فقال بسنده عن المعرور بن سُويد أنه قال: (لقيتُ أبا ذرٍّ بالرَّبذة ـ موضع قريب من المدينة المنورة ـ وعليه حُلَّةٌ، وعلى غلامه حُلَّةٌ مثلُها، فسألتُه عن ذلك أي كيف تُلْبِس عبدك مثلَ ما تَلْبس؟ فقال لي: إني سابَبتُ رجلاً...) فذكر الحديث.

شرحُ الحديث

كان أبو ذرّ يُلبس عبدَه ممَّا يلبسه، ويُطْعِمه مما يأكل منه، ويعامله معاملة الأخ لأخيه، لأنه سمع موعظة النبي ﷺ وهو يقول له: إنَّ هؤلاء العبيد إخوة لكم، فمن كان يملك واحداً منهم، فلْيطعمه من طعامه، ولْيلبسْه من لباسه، ولا يكلِّفه بما يشقُّ عليه، فما أعظَمَ رعاية الإسلام، للعبيد والخدم والضعفاء!؟

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث النهيُ عن سبِّ العبيد، والخدم، والمماليك، والحثُّ على الإحسان إليهم.

الثاني: وفيه أنه لا يجوز تعييرُ أحدٍ بشيء من المكروه، في نفسه، أو نسبه، أو عشيرته، فالناس كلُّهم أبناء آدم، وأكرمُهم عند اللَّه أتقاهم.

obeikandl.com

الثالث: وفيه عدمُ الترفع على المسلم، وإن كان عبداً مملوكاً له، أو كان خادماً، أو أجيراً عنده.

الرابع: وفيه استحبابُ الإطعام مما يأكل منه السيد، والإلباس ممَّا يلبس، وألَّا يستأثر على عياله.

الخامس: وفيه البُعْدُ عن عادات الجاهلية، والتخلُّق بأخلاق الإسلام الفاضلة الحميدة.

باب (الاقتتال بين المسلمين)

٣١ ـ عَنْ أَبِي بَكْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالقَاتِلُ والمَقْتُولُ فِي النَّارِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ).

[الحديث طرفاه في: ٦٨٧٥ ، ٧٠٨٣]

سببُ ذكر الحديث

سببُ ورود الحديث ما ذكره البخاري عن (الأحنف بن قيس) أنه قال: ذهبتُ لأنصرَ هذا الرجل ـ يريد عليَّ بن أبي طالب ابنَ عمِّ رسول اللَّه ﷺ ـ فلقيني (أبو بَكْرَةَ) فقال: أين تريد أن تذهب؟ قلتُ: أنصرُ ابنَ عمِّ رسول اللَّه ﷺ عليًا، فقال لي: ارجعْ، فإني سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: (**إذا التقى المسلمان بسيفيهما**...) وذكر الحديث.

شرح الألفاظ

(**إذا التقى المسلمان**) أي إذا حمل كل منهما السلاح على أخيه، يريد قتْلَه.

(**فالقاتل والمقتول في النار**) أي كلٌّ من القاتل والمقتول، يستحقُّ دخول النار، إلَّا أن يعفو اللَّه عنهما، أو عن أحدهما.

obeikandl.com

(**هذا القاتل**)؟ أي شأنُه واضح، يستحقُّ دخول النار، لأنه قَتَل أخاه المسلم.

(**فما بَالُ المقتول**)؟ أي لماذا يدخل المقتولُ النَّار، وقد قَتَله صاحبُه، ولم يقتل هو الآخر؟

(**كان حريصاً على قَتْلِ صاحبه**) أي كان المقتول عازماً على قتل أخيه المسلم، ولكنَّ الأول ابتدره فقَتَلَه، فالقاتلُ يدخل النَّارَ بسبب القتل، والآخر بالنية والعزم.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه التحذيرُ من حملِ السلاح وقتَ الفتنة، والبعدُ عن كلِّ أسباب العدوان.

الثاني: وفيه أنَّ العزمَ على الذنب، وعقدَ القلب عليه، معصيةٌ للَّه توجب العقاب.

الثالث: وفيه بيانُ معنى أنَّ (القاتل والمقتول في النار) أي أنهما يستحقان دخول النار، إلَّا أن تكون مشيئة اللَّه بالعفو عنهما.

الرابع: وفيه أنه لا يُراد بدخول النار: الخلودُ فيها، إلَّا أن يستحلَّ الواحد منهما قتل أخيه، فيدخلها باستحلاله دمَ أخيه المسلم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ...﴾ [النساء: ٩٣].

الخامس: وفيه أنَّ ما حدث بين الصحابة من قتال، فإنما كان عن اجتهادٍ من الفريقين، وأمرُه إلى اللَّه عزَّ وجل، نحسن الظنَّ بهم، لأنهم كانوا مجتهدين متأولين، لم يقصدوا معصيةً، ولا حُطَام الدنيا، ونكفُّ ألسنتنا عنهم، كما قال الإمام مالك رحمه اللَّه: «تلك دماءٌ طهَّر اللَّهُ أيدينَا منها، فلا نلوِّثُ بها ألسنَتَنا»!!

بابُ (ظُلْمٌ دون ظُلْم)

٣٢ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. [لقمان: ١٣]

[الحديث أطرافه في: ٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨، ٦٩٣٧]

شرح الألفاظ

(**لم يلْبِسُوا**) اللَّبْسُ: الخلْطُ، يُقال: لَبَس عليه الأمرُ والتَبَس أي اختلط عليه الأمرُ، والمراد بالآية: أي لم يَخْلِطوا إيمانهم بوثنيَّة وشرك، ومعنى (**بظلم**) يَراد هنا به: الشركُ، ولا يُقصد به ما يفعله الإنسان من المعاصي والآثام، وقد جاء تفسيره في القرآن، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وهو من باب تفسير القرآنِ بالقرآن.

قال الخطَّابي: كان الشركُ عند الصحابة أكبرَ من أن يُوصفَ بالظلم، فحملوا الظلم على الذنوب والمعاصي، فسألوا النبيَّ ﷺ عن ذلك، فنزلت الآية في سورة لقمان، توضِّح الغرضَ من الظلم، بأنه الشرك باللَّه، إذ لا ظلم أعظمُ منه، فهو من العام الذي يراد به الخصوصُ.

(**الأمنُ**) أي الأمانُ من عذاب اللَّه، حيث اجتنبوا أكبر أنواع الظلم وهو الشرك والكفر باللَّه.

(**وهم مهتدون**) أي هم من أهل الهداية والرَّشاد، والبُعْدِ عن محارم اللَّه.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ الظلم له مراتب متفاوتة، أعظمُهَا الإشراك باللَّه، الذي هو أعظمُ الذنوب والكبائر.

الثاني: وفيه إطلاقُ العام وإرادةُ الخاص، فقد أطلق لفظ «الظلم» وأراد به الإشراك باللَّه تعالى.

الثالث: وفيه تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ، وهو من أعظم أنواع التفسير وأفضلِها، إذ بيَّن تعالى في آية لقمان، أن المراد بالظلم هو «الإشراك باللَّه»، دون غيره من المعاصي، ولهذا قال ﷺ لمن سأله: وأيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال: (**ليس ذاك، ألم تسمعوا إلى قولِ لقمان لابنه** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟) حيث وَصَفه بالعِظَم.

الرابع: دلَّ الحديث على أنَّ المعاصي مهما كبرت لا تُسمى شِرْكاً، خلافاً للرافضة، ومن ذهب إلى إدخال أهل المعاصي في نار الجحيم.

الخامس: توضيح الرسول ﷺ للأمة ما غَمُضَ عليهم، من كلام اللَّه تعالى لقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

obeikandi.com

باب (علامات المنافق)

٣٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ).

[الحديث أطرافه في: ٢٦٨٢، ٢٧٤٩، ٦٠٩٥]

شرح الألفاظ

(آيةُ) أي علامةُ المنافق إحدى ثلاث خصال: الكذبُ، وإخلافُ الوعد، والخيانةُ للأمانة.

(المنافق) النفاقُ: مخالفةُ الباطن للظاهر، وهو نوعان: نفاقٌ في الاعتقاد، وهو كفرٌ خبيثٌ، ونفاقٌ في العمل، وهو معصية ورياء.

(وَعَدَ أخلف) أي إذا وعد أحداً بوعدٍ، أو عهد، أخلف فيه، ولم يف بما وعد.

(ائتُمِنَ خَان) أي إذا ائتمنه أحدٌ، ووضع عنده أمانةً، جحدها عليه، وخانه فيها.

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ على المسلم، اجتنابَ هذه الصفات الذميمة: (الكذب، والخيانة، وإخلاف الوعد).

الثاني: وفيه أنه لا يُراد بالنفاق (نفاق العقيدة) إنما هو نفاقُ العمل، وهو معصية لا إشراك.

الثالث: وفيه أنَّ من الأعمال الذَّميمة، ما يَصْلُحُ أن يوصف صاحبُه بالنفاق، ويدلُّ عليه الحديث الآخر في البخاري: «أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يَدَعها» ـ أي يتركها ـ ثم عدَّ ﷺ الثلاث، وزاد عليها (وإذا خاصَمَ فَجَر) كما في الرواية الثانية عند البخاري. أي زاد في فجوره وعدوانه، وتعدَّى الحدود الشرعية.

obeikandl.com

تذكيرٌ وتبصير

ذكر بعضُ العلماء أنَّ المراد بالمنافقين، هم الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، حدَّثوا بأنهم آمنوا فكذبوا، وائتمنوا على دينهم فخانوا، ووعدوا الرسول ﷺ بنصرة الدين فأخلفوا، وهو قول عطاء بن أبي رباح، وذكروا في ذلك قصةً حدثت بين «الحسن البصري»، و«عطاء» وهي كما أخبر عنها الإمام العينيُّ في كتابه (عُمدةُ القاري بشرح صحيح البخاري).

ذكرُ القصة: حُكي أنَّ رجلاً قال لعطاء: سمعتُ الحسنَ البصريَّ يقول: من كانت فيه ثلاثُ خصال، لم أتحرَّج أن أقول عنه: إنه منافق!

(مَنْ إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا ائتمن خان!!).

فقال عطاء: إذا رجعتَ إلى الحسن فقل له: إنَّ عطاءً يُقرئك السلامَ، ويقول لك: اذكرْ إخوةَ يوسف عليه السلام، فلن ينجو أهلُ الإسلام أن يكون فيهم «الكذبُ، والخيانةُ، والخُلفُ في الوعد»، ونحن نرجو أن يعيذهم اللَّه من النفاق، وما استقرَّ أمرُ النفاقِ قطُّ، إلَّا في قلب جاحد، وقد قال اللَّه تعالى في حقِّ المنافقين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [المنافقون: ٣] فذَكَر زوالَ الإسلام عن قلوبهم، ونحن نرجو أن لا يزول الإيمانُ عن قلوب المؤمنين.!

فرجع الرجل إلى الحسن، وأخبَرهُ بما قال عطاء، فقال له: جزاك اللَّه خيراً، ثم قال لأصحابه: إذا سمعتم مني حديثاً، فحدَّثتم به العلماءَ، فما كان غيرَ صواب، فردُّوا عليَّ جوابه!!

ذكر هذه القصة البَدْر العينيُّ في كتابه (عمدة القاري).

حديثٌ عجيبٌ يوضح معنى النِّفاق

ذُكر أنَّ سعيدَ بن جُبير أهمَّه هذا الحديثُ (آيةُ المُنافق ثَلاثٌ) فسأل عنه ابنَ عمر، وابنَ عباس، فقالا له: أهمَّنا من ذلك يا ابنَ أخي ما أهمَّك، فسألنا عنه رسولَ اللَّه ﷺ، فضحك النبيُّ عليه السلام، ثم قال لنا: (ما لكم ولهنَّ؟ إنما خَصَصْتُ بذلك المنافقين).

أمَّا قولي: إذا حدَّث كذب، فذلك فيما أنزل اللَّه عليَّ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ الآية [المنافقون: ١]، فهل أنتم كذلك؟ قلنا: لا!!

وأمَّا قولي: «إذا وَعَد أخلَفَ» فذلك قولهُ تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا

مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ . . .﴾ الآيات الثلاث [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧] أفأنتم كذلك؟ قلنا: لا!

وأمَّا قولي «إذا ائتمن خان» فذلك فيما أنزل اللَّه عليَّ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ . . . إلى قوله: وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] فالمنافق لا يفعل ذلك إلا في العلانية، فهل أنتم كذلك؟ قلنا: لا، قال: فأنتم من ذلك بَرَاءٌ!! انظر فتح الباري لابن حجر.

بابُ (عَلامةُ المُنافِقينَ أربعٌ)

٣٤ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّه عَنْهُما أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، كَانَ مُنَافِقاً خالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ، حَتَّى يَدَعَهَا: إذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ).

[الحديث طرفاه في: ٢٤٥٩، ٣١٧٨]

شرحُ الحديث

هذا الحديث كسابقه (**آيةُ المنافق ثلاث**. . .) وزاد فيه لفظ «**وإذا خاصم فَجَر**» أي إذا تخاصم مع أحدٍ من الناس، زاد في عدوانه وفجوره، فلا يَدَعُ كلمةً فاجرة، إلَّا رماه بها، وهذه من صفات الفُجَّار، لا من صفاتِ المؤمنين الأبرار، الذين قال اللَّه عنهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي قالوا قولاً لطيفاً، يَسْلَمون به من الإثم والأذى، لا يجهلون على أحد، ولا يفحشون في كلامهم.

وفي الحديث الشريف: (ليس المسلمُ بالطعَّان، ولا اللعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء) رواه الترمذي وهو حديث حسن.

ومعناه: ليس بكامل الإيمان، من يقع في أعراض الناس، بالسبِّ واللعن، وليس كاملُ الإيمان بالفاحش في مقاله، ولا البذيء في فعله وكلامه. . .

ودلَّ الحديث الشريف: على أنَّ المنافِق الخالص: من اجتمعت فيه هذه الخصالُ

الأرْبعُ الذميمة، وإذا كان فيه خصلة واحدة منهنَّ، كان فيه خَصْلةٌ من خصال المنافق، حتى يتركها ويتخلَّى عنها.

بابُ (قيامِ لَيْلة القَدْرِ منَ الإيمَان)

٣٥ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

[الحديث أطرافه في: ٣٧، ٣٨، ١٩٠١، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩، ٢٠١٤]

شرح الألفاظ

(**مَنْ يَقُمْ**) المراد بالقيام: إحياءَ ليلة القدر، بالصلاة، والطاعة، وذكر اللَّه، وكل ما فيه قربة للَّه عزَّ وجل، مأخوذ من القيام للصلاة بمعنى الطاعة والعبادةِ للَّه، قال تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ٢] أي صلِّ لربك.

(**ليلة القدر**) أي الليلة المباركة التي ابتدأ فيها نزولُ القرآن ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١] سميت ليلةَ القدر لشرفها، ورفعةِ قدرها عند اللَّه تعالى، لأنها ليلةُ إشراقِ النُّورِ الإلٰهي، على أهل الأرض، والقَدْرُ معناه: الشرفُ والرفعةُ، وإعلاءُ المرتبة والمنزلة.

(**إيماناً واحتساباً**) أي تصديقاً بوعد اللَّه عزَّ وجل، وطلباً لمرضاته، لا لرياءٍ أو سمعة.

(**غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه**) أي مُحيت ذنوبهُ السابقة، بفضل تلك الليلة المباركة، التي أحياها بالطاعة والعبادة، وليس المراد هو أن لا ينامَ تلك الليلة، بل أن يخصِّص جزءً كبيراً منها، بالصلاة، والذكر، والإقبالِ على اللَّه تعالى.

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف الحرصُ على قيام ليلة القدر، بإحياء معظم الليلة في طاعة اللَّه، والتهجد بالصلاة، والذِّكر، وتلاوة القرآن.

obeikandl.com

الثاني: وفيه محوُ الذنوب التي سبقت من الإنسان، ما عدا حقوق العباد، فلا بدَّ من أدائها، فالتي تُغفر وتُمْحَى هي حقوقُ اللَّه عز وجل.

الثالث: وفيه الإخلاصُ في العبادة، وجعلُها خالصةً لوجه اللَّه الكريم، منْ دون غرضٍ آخر، فإنَّ اللَّه لا يقبل من العمل، إلَّا ما كان خالصاً له ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ . . .﴾ [البينة: ٥].

تذكير لطيف

سبب فضلِ هذه الليلة:

ما أعظَمَ ليلةَ القدر! وما أفخَمَ شأنها!! إنَّ قيامَ ليلتها يكفِّر اللَّه به ذنوبَ ما حصلَ من الإنسان، طَوَالَ عُمُره السابق.

قال ابن عباس: عَمَلُها، وصيامُها، وقيامُها، خيرٌ من ألف شهر. أي تعادل عبادة ألف شهر (حوالي ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر)!

أمَّا سببُ نزول سورة القدر، فهو ما رواه ابنُ أبي حاتم (أنَّ رجلاً من الأمم السابقة ـ أي من بني إسرائيل ـ حمل السلاحَ وجاهد في سبيل اللَّه ألف شهر، فعجب رسولُ اللَّه ﷺ وأصحابُه من ذلك، وتمنَّى رسولُ اللَّه عليه الصلاة والسلام لأمته، أن يبارك اللَّه في أعمارها، وقال يا ربِّ: جعلْتَ أمتي أقصرَ الأمم أعماراً، وأقلَّها أعمالاً. فأعطاه اللَّه (ليلة القدر)، وقال له: ليلةُ القَدْر هذه خيرٌ لك ولأمتك من ألف شهر، جَاهَد فيها الرجلُ هذه الأعوام الطويلة!) فما أكرمها من ليلة!! وما أعظمه من فضلٍ وعطاء، لهذه الأمة المحمديَّة!! على صاحبها أفضلُ الصلاة والتسليم.!

بابٌ (الجهادُ من الإيمان)

٣٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ ـ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي ـ أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أو غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، مَا قَعَدْتُ خَلْفَ

سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ).

[الحديث أطرافه في: ٢٧٨٧، ٢٧٩٧، ٢٩٧٢، ٣١٢٣، ٧٢٢٦، ٧٢٢٧، ٧٤٥٧، ٧٤٦٣]

شرح الألفاظ

(انْتَدَبَ اللَّهُ) أي ضَمِنَ وتكَفَّل تعالى، بتحقيق ما وعد به المجاهد، من الأجر والمثوبة.

(لمن خرج في سبيله) أي خرج مجاهداً لنصرة الدِّين، وقيَّد الخروج بكونه في سبيل اللَّه، ليخرج من قاتل للشجاعة، أو للحميَّة، أو رياءً، أو لمغنم دنيوي، وأمثال ذلك.

(لا يُخْرِجه إلَّا إيمانٌ بي) أي لا يخرجه إلَّا التصديقُ بوعد اللَّه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

(وتَصْديقٌ برسلي) أي أن يعتقدَ ويؤمن، بما أخبرتْ به الرُّسُلُ الكرام، من ثواب المجاهد في سبيل اللَّه.

(أن أُرْجِعه) أي أردَّه إلى مسكنه، ظافراً، غانماً، بما اكْتَسَبَه من الأعداء من غنائم.

(ولولا أن أشقَّ) أي أكلِّفهم المشقَّة، بخروجهم للجهاد، كلَّما خرجتُ لغزوة من الغزوات، لاقتدائهم بي، وذلك بوقعهم في المشقة.

(خِلَافَ سَرِيَّة) السَّرِيَّةُ: هي القطعةُ من الجيش، أي لولا المَشَقَّةُ على أمتي، ما قعدتُ عن الخروج للغزو، مع كل جماعة تخرج للجهاد في سبيل اللَّه، ولكن يشقُّ عليهم التخلُّفُ عن الخروج معي، ولا تطيب أنفسهم لِعدم الخروج.

(لوَدِدْتُ أن أُقتلَ) أي تمنيت أن أُقتلَ في سبيل اللَّه، ثم يُحييني اللَّه مرةً أخرى، فأجاهد فأُقتل ثانية، ثم يحييني اللَّه مرة ثالثة، ثم أموت شهيداً في سبيل اللَّه.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه فضلُ الجهاد والشهادة في سبيل اللَّه، لعظيم أجر الشهيد.

الثاني: وفيه تمنِّي نيل الشهادة مرَّاتٍ عديدة، كما تمنَّاها رسولُ اللَّه ﷺ.

obeikandl.com

الثالث: وفيه بيانُ شِدَّةِ شفقةِ الرسول ﷺ على أمته، ورأفته بهم.

الرابع: وفيه جوازُ ترك بعض المصالح، لمصلحةٍ أرجحَ منها، كما ترك الرسولُ ﷺ الخروجَ مع كلِّ سريةٍ تخرج للجهاد، كيلا يشقَّ على أمته.

تذكير وتبصير

(من روائع الأحاديث في ثواب المجاهدين)

ثبت في الصحيح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: (**لمَّا أصيبَ إخوانُكم بأحد ـ أي استشهدوا ـ جعل اللَّه أرواحهم في جوف طير خُضْر، تَرِدُ أنهارَ الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديلَ من ذهب، معلَّقة في ظل العرش... فلمَّا وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، ومَقِيلهم، قالوا: من يبلِّغ إخواننا أننا أحياء في الجنة؟ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يجبُنوا عند الحرب؟ فقال اللَّه عزَّ وجل: أنا أبلِّغهم عنكم، فأنزل اللَّه هذه الآية:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ...﴾ [آل عمران: ١٦٩]) أخرجه مسلم في صحيحه.

بابُ (فضلِ قيامِ رمضانَ)

٣٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ قَامَ رَمَضانَ، إيماناً واحْتِساباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

[الحديث طرفه في: ٣٥].

تقدم شرحه في الحديث رقم ٣٥.

باب (فضلِ صيام رمضان)

٣٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ صَامَ رَمَضانَ، إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

شرح الألفاظ

(**إيماناً واحتساباً**) أي تصديقاً بوعد اللَّه الكريم، وطلباً للأجر من اللَّه العليِّ الكبير.

(**غُفِر له**) أي مُحيت عنه ذنوبه الصغائر، أمَّا الكبائرُ فلا بُدَّ فيها من توبة نصوح، لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. فالمراد بالسيئات: الصغائر، لأن اللَّه تعالى شَرَط في تكفير الذنوب اجتنابَ الكبائر، هذا هو الظاهر من الحديث الشريف، واللهُ أعلم.

شرحُ الحديث

أخبر ﷺ أنَّ من صام رمضان، امتثالاً لأمره تعالى، حيث فرض على المسلم صيام الشهر المبارك، تصديقاً لوعده، وطلباً للأجر والثواب من اللَّه عزَّ وجل، فإنَّ اللَّه يكرمه بمغفرة ذنوبه، التي كان قد اقترفها، كرماً منه تعالى وفضلاً، ذلك لأنَّ الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، كلُّها عبادات، تطهِّر المؤمن، ممَّا حصل منه من الذنوب والآثام، واللَّه ذو الفضل العظيم، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ صيام رمضان مغفرةٌ للذنوب والآثام.

الثاني: وفيه أنه فريضة على كل مسلم ومسلمة.

obeikandl.com

الثالث: وفيه وجوبُ إخلاص العبادة والطاعة للَّه، ليفوز بذلك الأجر العظيم ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

بابٌ (الدِّينُ يُسْرٌ)

٣٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ).

[الحديث أطرافه في: ٥٦٧٣، ٦٤٦٣، ٧٢٣٥]

شرح الألفاظ

(**الدينُ يُسْر**) أي دينُ الإسلام كلُّه يُسْرٌ وسهولة، وليس فيه ما يشقُّ على الناس، ولا ما يصعُبُ عليهم من شرائع الإسلام.

(**ولن يشادَّ الدينَ**) أي لن يتنطَّع أحدٌ في الدين، ويشدِّد على نفسه، ويترك الرِّفق، والأيسرَ، والأسهل، إلَّا غَلَبَة الدينُ بيسره وسماحته.

(**فَسَدِّدوا**) أي خذوا بالقصد من أحكامه، من غير إفراطٍ ولا تفريط، والزموا السَّداد ـ أي الصواب ـ والتوسُّطَ في العمل.

(**وقاربوا**) أي إن لم تستطيعوا الكمالَ، والأخذَ بالأكمل، فاعملوا بما يقرب منه.

(**واستعينُوا بالغَدْوَة**) أي استعينوا على طاعة اللَّه والعبادة، في البكور والأوقات المنشِّطة.

(**والرَّوْحَة**) أي وفي أوقات الفراغ من أعمالكم بعد الزوال، وأصلُ الغَدْوة: السيرُ أوَّلَ النهار، والرَّوْحةُ: السَّيْرُ بعد الزوال من بعد الظهر.

(**وشيءٍ من الدُّلْجة**) أي شيء من أول الليل أو آخره.

قال العلَّامة ابنُ حَجَر: وعبَّر فيه بالتبعيض (وشيءٍ من الدُّلجة) لأن عملَ الليل

أشقُّ على النفس من عمل النهار، وهذه الأوقات أطيبُ أوقات المسافر، وكأنه ﷺ يخاطب مسافراً إلى مقْصَد له، فنبَّهه إلى أوقات نشاطه، لأن المسافر إذا سافر، واستمرَّ في سفره الليلَ والنَّهارَ، انقطع وعَجَز، وإذا تحرَّى السير في هذه الأوقات المنشّطة، أمكنه المداومة من غير مشقة، وحُسْنُ هذه الاستعارة، أنَّ الدنيا في الحقيقة دارُ نُقلة إلى الآخرة، وأنَّ هذه الأوقات أروحُ ما يكون فيها البَدَنُ للعبادة .اهـ. فتح الباري.

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الحضُّ على الرفق في العمل، وَتَرْكُ إجهادِ النفس بما يشقُّ عليها.

الثاني: وفيه أنَّ الأخذ بالقليل مع الدوام، خيرٌ من الكثير مع الانقطاع.

الثالث: وفيه التنبيهُ على أوقات النشاط للعبادة، لأن الضحى، والرَّوَاح، والليل أفضل أوقات النشاط.

الرابع: وفيه عدمُ تكليف النفس بما يُرهقها، لقوله ﷺ: **(عليكم من الأعمال ما تطيقون)**.

الخامس: وفيه بيانُ يُسْر الدِّين وسهولته، وأنَّ المتشدد والمتنطِّع فيه خاسر غير رابح، كما قال عليه الصلاة والسلام: **(إنَّ المُنْبَّت لا أرضاً قَطَع، ولا ظهراً أبقى)** والمعنى: أن الذي يُرْهِق دابته على السَّيْر السريع، لا يصل إلى مراده، ويُهلك دابته.

بابُ (الصلاةُ من الإيمان وتحويلُ القِبلة)

٤٠ ـ عَن البَرَاءِ بن عازب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ ـ أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ ـ وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً، أَوْ سَبْعَةَ عشَرَ شَهْراً، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ العَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ راكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ

صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا ـ كَمَا هُمْ ـ قِبَلَ الْبَيْتِ ـ وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ).

[الحديث أطرافه في: ٣٩٩، ٤٤٨٦، ٤٤٩٢، ٧٢٥٢]

شرح الألفاظ

(**صلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِس**) أي صلَّى جهة بيت المقدس، لأنها كانت القبلةَ للمسلمين، في بداية الإسلام.

(**يعجبُه أن تكون قبلتُه**) أي يحبُّ أن تكون قبلتُه البيتَ العتيق ـ أي الكعبة المشرفة ـ لأنها قبلة خليل الرحمٰن (إبراهيم) عليه السلام، ومعنى (قِبَل) أي جهة.

(**أشهدُ باللَّه**) أي أحلف لكم باللَّه، أنني صليتُ مع رسول اللَّه جهة الكعبة المشرَّفة.

(**فَدَارُوا كما هم**) أي استداروا نحو الكعبة، وهم لا يزالون في الصلاة، بعد أن كانوا متوجِّهين نحو بيت المقدس.

(**أنكروا ذلك**) أي أنكر اليهودُ وأهلُ الكتاب على الرسول ﷺ انتقالَهُ من بيت المقدس في الصلاة إلى توجهه إلى البيت العتيق، وقالوا: لقد اشتاق محمد إلى وطنه الأول، وخالف دينَنَا، بعد أن كانوا معجبين بتوجهه إلى قبلتهم (بيتِ المقدس).

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث دليل واضح، على وقوع النسخ في الأحكام التشريعية، حيث نُسخت القِبْلةُ، وذلك من التوجُّه لبيت المقدس، إلى التوجه إلى البيت الحرام.

الثاني: وفيه بيانُ شَرَف المصطفى ﷺ وكرامته على ربه، حيث حوَّله تعالى إلى القبلة التي يحبُّها ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٤].

الثالث: فيه الدليلُ على قبول خبرِ الواحد، حيث توَّجه المُصَلُّون إلى الكعبة المشرَّفة، بخبر شخص واحد.

الرابع: وفيه جواز الصلاة الواحدة إلى جهتين، كما فعل الصحابة الكرام، حيث

صلُّوا إلى القِبْلَتين، واشتهر المسجد الذي كانوا يصلُّون فيه باسم (مسجد القِبْلَتَيْن).

الخامس: وفيه بيانُ ما كان من أصحاب النبيِّ ﷺ من الحرص على دينهم، والشفقة على إخوانهم، حيث قالوا يا رسول اللَّه: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلُّون إلى بيت المقدس؟ هل تُقبل صلاتُهم؟ فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني صلاتكم. سمَّى الصلاة إيماناً، لأنها أعظمُ أركان الإسلام.

السادس: وفي هذا التحويل من قبلةٍ إلى قِبلة، «معجزةٌ غيبيَّة» للقرآن، حيث أخبر اللَّه عزَّ وجل قبل تحويل القبلة، إلى ما سيقوله اليهود والمنافقون قبل حدوثه: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا . . .﴾ [البقرة: ١٤١].

تذكير وتبصير

كان رسولُ اللَّه ﷺ وهو بمكة يتوجَّه إلى بيت المقدس بأمرٍ من اللَّه، ولمَّا هاجر إلى المدينة المنورة، بقي ستَّةَ عشَرَ شهراً يتوجه إلى القبلة الأولى «بيت المقدس» ولكنه ﷺ كان يتشوَّق إلى أن يحوِّله اللَّه إلى قبلة أبيه (إبراهيم) إلى الكعبة المشرَّفة، ويردِّد بصره إلى السماء، بانتظار أمر اللَّه له بالتحويل، فنزلت الآية ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]. فكان هذا الأمرُ، تحقيقاً لما كان يشتهيه عليه أفضل الصلاة والتسليم، فحُوِّلت القبلةُ إلى البيت الحرام.

بابُ (حُسْنِ إسلام المرء)

(٤) ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَان زَلَفها، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بمثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا).

شرح الألفاظ

(**إذا أسلمَ العبدُ**) أي اعتنق الإسلامَ، والحكمُ يشمل الرجالَ والنساءَ، وذكرُه

بلفظ المذكَّر تغليباً، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٦٢] عامٌّ لكل مؤمن ومؤمنة، كذلك العبدُ يشمل كلَّ ذكرٍ وأنثى ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

(**فَحَسُنَ إسلامُه**) أي صار إسلامُه حَسَناً، بدخوله فيه بالظاهر والباطن، حقيقةً وعَزْماً، لا صورةً وشكلاً، وذلك باعتقاده وإخلاصه، ومراقبته للَّه عزَّ وجل.

(**كان زَلَفَها**) أي تُغفر له جميعُ ذنوبه، التي كان أسلفها وقدَّمها، لأن الإسلام يهدِمُ ما كان قبله، لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

(**القصاصُ**) أي كان بعد إسلامه، المجازاةُ له، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرٌّ.

(**إلَّا أن يَتَجاوَزَ اللَّه عنها**) أي إلَّا أن يسامحه اللَّهُ، ويعفو عن أخطائه، تفضلاً منه وكرماً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ . . .﴾ [النساء: ٤٨].

شرحُ الحديث

أخبرَ سيِّدُ المرسلين محمدٌ ﷺ أنَّ المؤمنَ يُؤاخذ بعمله بعد إسلامه، فيُعطى على الحسنة عشرة أضعافها، إلى سبعمائة ضعف، وعلى السيئة مثلَها دون زيادة، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وهذا كلُّه من فضل اللَّه، وكرمِهِ على عباده، أنه يضاعف لهم الحسنات، ولا يضاعف عليهم السيئات، وويلٌ لمن غلَبَتْ سيئاتُه حسناتِهِ!

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف، بيانُ سَعَةُ فضلِ اللَّه على عباده، حيث يضاعف اللَّه لهم الحسنات، إلى ما لا يعلم قَدْرَهُ إلا اللَّهُ، ولا يضاعف عليهم الذنوب والمعاصي، فَضْلاً منه ورحمة.

الثاني: وفيه أنَّ الإسلامَ يهدِم جميع الذنوب والآثام، فلا يؤاخذ اللَّهُ الكافر بإجرامه ومعاصيه، إذا أسلم وحَسُن إسلامُه.

الثالث: وفيه أنَّ المسلم إذا ارتكب المعاصي، ولم يتب منها، فهو تحت مشيئة اللَّه تعالى، إن شاء تجاوز عنه، وإن شاء عاقَبَه وعذَّبه.

الرابع: وفي الحديث الردُّ على الخوارج، الذين يكفِّرون بالذنوب، ويوجبون خلود المذنبين في النار.

بابُ (مضاعفةِ أجرِ المؤمن)

٤٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا).

تقدَّم شرحه في الحديث رقم (٤١).

باب (أحبُّ الدين إلى اللَّهِ أدْوَمُه)

٤٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المؤمنينَ رَضِيَ اللَّه عَنْها (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟». قَالَتْ: فُلَانَةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِها. قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا! وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ).

[الحديث طرفه في: ١١٥١]

شرح الألفاظ

(**فُلانَةُ**) اللفظةُ كنايةٌ عن اسم عَلَم لمؤنث، واسمها «الحولاءُ الأسديَّة».

(**تَذْكُرُ من صَلَاتها**) أي تذكر لي أنها كثيرة الصلاة، لا تنام من الليل، وهي تتهجَّدُ.

obeikandl.com

(**مَهْ**) اسمُ فعلِ أمر، معناه الزَّجْرُ، أي لِتَكُفَّ عن هذا الصَّنيع، وأصلُ هذه الكلمة: ما هذا؟ على وجه الإنكار، طرحوا بعض الحروف، فقالوا: مَهْ، مَهْ.

(**عَلَيكُم ما تُطِيقُون**) أي اشتغلوا من الأعمال بما تطيقونه، وتستطيعون المداومة عليه، والمراد النهيُ عن صلاة جميع الليل.

(**لا يَملُّ حتى تَملُّوا**) المَلَلُ: استثقالُ النَّفْسِ للشيء، ونفورُها عنه، وهو محالٌ على اللَّه تعالى، باتفاق أهل العلم، لأنَّ صفاتِ النقص لا تُنسب إلى اللَّه تعالى.

قال الخطابي: معناه لا يَتْرُكُ اللَّهُ ثوابَكُم على العمل، ما لم تقعوا في المَلَل، وذلك أنَّ من مَلَّ شيئاً تركه، فكنَّى عن الترك: بالمَلَل.

أقول: اللفظُ واردٌ على وجه المشاكلة والازدواج، وهي المشابهة باللفظ مع الاختلاف بالمعنى، مثلُ قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] سمَّاها سيئةً مع أنها ليست بسيئة، لأنها مجازاةٌ على العدوان، على وجه «المشاكلة» أي المشابهة، لتزدوج اللفظة الثانية مع الأولى، وكما قال الشاعر:

أَلَا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

أراد فنجازيه على فعله، ونردَّ عليه سَفَهه، سمَّاه جهلاً، مع أنَّ الجهل لا يَفْخر به عاقل.

(**أدومُهُ وإنْ قَلَّ**) أي أحبُّ العبادة والطاعة للَّه، ما داوم عليه صاحبُه، وإن كان العملُ قليلاً... مثالُه من صلَّى في الليل أربع ركعات، وداوم عليها، خير من الذي يصلي أربعين ركعة، أو يقوم الليلَ كلَّه، ثم ينقطع عن العبادة.

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف دلالةٌ على وقوع (المجاز) في السُّنَّة النبويَّة المطهَّرة، وهو إطلاقُ المَلَل، وإرادةُ لازمِهِ، وهو تركُ الثواب، ويُسمَّى بالمجاز المرسل.

الثاني: وفيه جوازُ الحلف من غير استحلاف، إذا كان فيه حثٌّ على طاعة، أو تحذيرٌ من محظور، لقوله ﷺ: «**فواللَّهِ لا يمَلُّ اللَّه**» لتأكيد الأمر، وبيانِ أهميَّته.

الثالث: وفيه فضيلةُ الدَّوام على العمل، وأنَّ القليلَ الدائمَ، خيرٌ من الكثير المنقطع.

بابُ (زيادةِ الإيمان ونَقْصِه)

٤٤ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، ويَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلٰهِ إِلَّا اللَّهُ)، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خيْرٍ).

[الحديث أطرافه في: ٤٤٧٦، ٦٥٦٥، ٧٤١٠، ٧٤٤٠، ٧٥٠٩، ٧٥١٠، ٧٥١٦]

شرح الألفاظ

(**وزنُ شعيرة**) الشعيرةُ واحدةُ الشعير، والبُرَّة هي الواحدة من حبِّ القمح.

(**ذرَّةٌ من خير**) المراد بالخير: الإيمانُ، بدليل الرواية الأخرى (من خيرٍ من إيمان).

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الشريف، دلالةٌ على زيادة الإيمان ونقصه، حيث فاوتَ بين الأعمال الصالحة، القليل منها والكثير، كقوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦، ٧].

الثاني: وفيه دليلٌ على دخول عُصَاةِ المؤمنين الموحِّدين النَّار، للتطهير لا للخلود، لأن المؤمن لا يُخلَّد في النار.

الثالث: لا يُخلَّد أحدٌ من أهل الكبائر في نار الجحيم، إذا مات على الإيمان، لقوله ﷺ: (**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله**...) الحديث.

بابُ (كَمَالِ الدِّينِ بِنُزُولِ آيةِ المائِدة)

٤٥ ـ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي اللَّه عنه: (أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيداً. قَالَ عمرُ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ).

[الحديث أطرافه في: ٤٤٠٧، ٤٦٠٦، ٧٢٦٨]

شرح الألفاظ

(أنَّ رجُلاً من اليهود) اسم هذا الرجل (كعب الأحبار) كما ذكره الطبري في تفسيره، وقد جاءه مع جماعة من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.

(آيةٌ في كتابِكُم) أي آيةٌ نزلت في القرآن العظيم، عليكم معشرَ المسلمين.

(لاتَّخَذْنا ذلك اليوم عيداً) أي لو نزلت علينا معشر اليهود، لجعلنا يوم نزولها يومَ عيدٍ لنا، وعظَّمنا ذلك اليوم، وجعلناه عيداً لنا في كل سنة.

(قال: أيُّ آية)؟ أي أيَّ آيةٍ تقصد من القرآن؟ قال: قولَ اللَّه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية.

(قد عرفْنا ذلك اليومَ) أي عرفنا يوم نزولها، فنحن ما أهْمَلنا هذا العيد، ولا ضيَّعناه، فهو يوم عيدٍ عظيم لنا، ولذلك يسمى (عيدَ الأضحى المبارك).

تذكيرٌ وتبصيرٌ

نبَّهه الفاروق رضي اللَّه عنه إلى أنه يعرف اليوم، والمكانَ، والزمان الذي نزلت فيه، فقد نزلت هذه الآية على رسول اللَّه ﷺ يوم عرفة، بعد العصر، وكان (يوم جمعة)، فهو عيدٌ على عيد، في يوم الحج الأكبر.

Obeikandl.com

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث بيانُ حسدِ أهل الكتاب (اليهود) للمسلمين على آية واحدة، لعظم هذه الآية، فكيف لا يحسدوننا على نعمة القرآن كلِّه؟

الثاني: وفيه تعظيمُ حرمة الأيام التي نزل فيها القرآن الكريم، على خاتم المرسلين ﷺ.

الثالث: وفيه بيانُ أنَّ اللَّه عزَّ وجل هو الذي اختار للمسلين هذا الدين، لقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

توضيح وبيان

هذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] من أواخر ما نزل من القرآن، من أمور الحلال والحرام، وليست آخر الآيات نزولاً، فقد نزلتْ قبلَ وفاة النبي ﷺ بثمانين يوماً آيةُ ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] وهي آخر آية نزلتْ من القرآن.

تنبيه لطيفٌ هام

القرآن العظيم آخرُ الكتب السماوية، خصَّ اللَّه به الأمة المحمدية، وامتنَّ علينا بنزوله بقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] أي أنزلنا عليكم كتاباً عظيماً جليلاً، فيه شرفُكم، وعزُّكم، ومجدُكم، أفلا تدركون هذه النعمة الجليلة؟ فتشكرون ربكم عليها؟ وصدق اللَّه العظيم حيث يقول: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦] فالحمدُ للَّه على نعمة القرآن، والحمدُ للَّه على نعمة الإيمان.

بابُ (الزكاةُ من الإسلام)

٤٦ ـ عَنْ طَلْحَةَ بنَ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: (جَاءَ رَجلٌ إِلَى

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، ثَائِرُ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ، وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَصِيَامُ رَمَضَانَ». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ).

[الحديث أطرافه في: ١٨٩١، ٢٦٧٨، ٦٩٥٦]

شرح الألفاظ

(**من أهلِ نجد**) **قال في الصحاح:** نَجْد من بلاد العرب، وكلُّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نَجْد .اهـ. أقول: اشتهرت مدينةُ (الرياض) بأنها في ديار نجد، وسُكَّانها يُعرفون بالنَّجديِّين، وهي العاصمةُ للدولة اللسعودية.

(**ثائرُ الرأس**) أي مُنْتَفِشُ شعر الرأس، على عادة الأعراب، فإنهم لا يصرِّحون شعورهم.

(**نَسْمعُ دويَّ صوته**) أي نَسمَعُ صوتَه العالي المدوِّي، ولكنَّنا لا نَفْهم كلامَه.

(**حتى دنا**) أي حتى اقترب من الرسول ﷺ، فلما دنا فهمنا كلامه.

(**يسأل عن الإسلام**) أي يسْألُ عن شرائع الإسلام وأركانه، فأخبره ﷺ بها، وهي: (الصلاةُ، والزّكاةُ، والصّومُ) ولم يذكر له الحجَّ، لأنَّه لم يكن قد فُرض في ذلك الحين.

(**إلَّا أن تَطَوَّع**) أي ليس عليك غيرُ الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، إلا أن تفعل زيادةً عليها، نافلةً وتطوعاً، وأصلُها تتطوَّع، حُذفت التاءُ تخفيفاً.

(**فأَدبر الرجلُ**) أي انصرف من مجلس الرسول ﷺ راجعاً وهو يقول: واللَّهِ لا أزيد على ما أمرني به محمد ﷺ، ولا أَنقصُ شيئاً منه.

(**أَفْلحَ إنْ صَدَق**) أي قال ﷺ نالَ الفلاحَ والنجاح، وفاز وظفر بمطلوبه، إن صدق في تمسكه، بهذه الفرائض التي ذكرتُها له....

وفي رواية أخرى: «**أفلح وأبيه إن صَدَق**» وفي روايةٍ أخرى: «**دخل الجنَّةَ وأبيه إن صَدَق**» وهذا ليس بِحَلفٍ، وإنما هي كلمة جارية على اللسان على عادة العرب.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه إنَّ الصلاة ركنٌ هامٌّ من أركان الإسلام، وهي «خمسُ صلوات» في اليوم والليلة فقط.

الثاني: وفيه جوازُ الحلفِ باللَّه تعالى، من غير استحلافٍ، ولا ضرورة، حيث حلف الأعرابيُّ بحضرة النبيِّ ﷺ، بقوله (**واللَّه لا أزيد على هذا**) ولم يُنكر عليه.

الثالث: وفي الحديث بيانُ طبيعة الأعراب في رفع الصوت، من غير مراعاةٍ للآداب في مخاطبة الرسول ﷺ، لبعدهم عن مجالس الفقه في الدين.

الرابع: وفيه القطعُ بالشهادةِ من الرسول ﷺ بالفلاح والفوز، لمن أدَّى الفرائض الدينية.

الخامس: وفيه بيانُ أنَّ أركان الإسلام خمسة، وهي (الصلاةُ، والصيامُ، والحجُّ، والزكاةُ) بعد النطق بالشهادة (لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه) ولم يذكر فيه (الجهاد في سبيل اللَّه) لأنه فرضُ كفاية، لا فرضُ عين.

السادس: وفيه أنَّ السَّفَرَ من بلد إلى بلد، من أجل طلب العلم، أمرٌ مندوب إليه، فقد جاء الأعرابي من بلد بعيد هي (نجد)، إلى المدينة المنورة، وبينهما ما يزيد على ألف كيلومتراً.

بابُ (اتِّباع الجَنائز من الإيمان)

٤٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ).

[الحديث طرفاه في: ١٣٢٣، ١٣٢٥]

شرح الألفاظ

(مَنْ اتَّبَعَ) أي مشى خلف جنازة مسلم، ولَحِقَها حتى دُفنت ثم رجع إلى منزله.

(إيماناً واحتساباً) أي تصديقاً بكلام الرسول ﷺ، الذي أوجب على المسلم اتباع الجنائز، وطلباً للأجر والثواب من اللَّه تعالى.

(يَرْجِعُ بقيرَاطَيْنِ) أي يرجع بقيراطين من الأجر، كلُّ قيراط مثلُ جبلِ أحد، والقيراط أصلُه: المالُ الكثير الذي لا يحصى.

(ومن صَلَّى عليها) أي صلَّى على الجنازة، ثم رجع إلى منزله، قبل أن تُدْفن، كان له من الأجر قيراطٌ واحدٌ.

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث الحثُّ على الصلاة على الميت، واتِّبَاعُ جنازته، وحضور دفنه، وتقييده بالمسلم، ليخرج الكافر والمنافق، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤] ومعنى القيام على قبره: حضورُ دفنه، فإنه من حقِّ المسلم على المسلم.

الثاني: وفيه أنَّ الثواب المذكور إنما يحصل لمن اتَّبع الجنازة إيماناً واحتساباً، لا لأنه صاحبُ منزلةٍ ومكانة، كما يخرج الناسُ لجنازة الغنيِّ، والأمير، والوزير، مجاملةً لأهل الميِّت.

الثالث: وفيه وجوبُ الصلاة على الميت ودفنه، وهذا أمرٌ مجمع عليه.

الرابع: وفيه أنَّ المشيَ خَلْفَ الجنازة خيرٌ من الركوب.

الخامس: وفيه أنَّ ذكرَ القيراطِ في الحديث، لبيان الكثرة، لا لعددٍ محدَّد، ولذلك مثَّل له ﷺ بالجبل، والجَبَلُ لا يُعرف مقدارُ عدده.

بابُ (خوفِ المؤمن من حُبُوط عمله)

٤٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ).

[الحديث طرفاه في: ٦٠٤٤، ٧٠٧٦]

شرح الألفاظ

(سِبَابُ المسلم) السِّبابُ بكسر السِّين: الشتمُ، والوقوعُ في عِرض المسلم، وهو أشدُّ من السبِّ، وهو أن يقول في الرجل ما فيه، وما ليس فيه، وخلاصتُه: أن يتكلَّم في عِرْضِ المسلم بما يعيبه.

(فسوق) أي خروجٌ عن طاعة اللَّه، لأن أصلَ الفِسق: الخروجُ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١] أي هو عدوانٌ، وخروجٌ عن طاعة الحقِّ جلَّ وعلا، وهو أشدُّ العصيان.

(وقتاله كفرٌ) أي سفكُ دم المسلم إذا أقدم على قتله كفرٌ، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] أي يؤدِّي إلى الكفر، ولم يُرِدْ به حقيقةَ الكفر، الذي هو الإنسلاخ عن ملَّة الإسلام، بل أطلق عليه الكفر، مبالغةً في التحذير من القتل، أفاده ابنُ حجر.

وقال الخطابي: المراد به «الكفرُ الحقيقيُّ»، وذلك إذا استحلَّ قتْلَه، من غير دليل ولا تأويل، لأن استحلالَ الحرامِ، كفرٌ على الحقيقة.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه التحذيرُ من سبِّ المسلم، لأنه يؤدِّي إلى الفسق، واللَّعنُ أسْوأُ منه وأقبحُ.

الثاني: وفيه تحريمُ قتل المسلم، وأنه من أعظم، الكبائر عند اللَّه، وقد يؤدِّي إلى الكفر، كما قال ﷺ في حجة الوداع: **(لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقابَ بعض)**.

الثالث: وفيه التفريقُ بين السبِّ، والقتل، فالسِّبابُ فسوق وعصيان، والقتالُ كفرٌ باللَّه وعدوان.

باب (التحذير من التنازع والتخاصم)

٤٩ ـ عَنْ عُبادَةَ بنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلاحَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ ﷺ: «إِنِّي خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْراً لَكُمْ، الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ، وَالتِّسْعِ، وَالخَمْسِ»).

[الحديث طرفاه في: ٢٠٢٣، ٦٠٤٩]

شرح الألفاظ

(**تَلَاحَى فلانٌ وفلان**) أي تنازَعَ وتخَاصَم، والتَّلاحي: التخاصمُ والجدلُ.

(**فرُفعتْ**) أي رُفع تعيينُها من ذاكرةِ النبيِّ ﷺ، بسبب التنازع والخصام.

(**الْتَمِسُوها**) أي اطلبوا وقتها في العشر الأخير من رمضان، في الخامس والعشرين، والسابع والعشرين، والتاسع والعشرين.

شرحُ الحديث

أراد رسولُ اللَّه ﷺ أن يُخبِر أصحابَه بليلة القدر، ويعيِّن لهم وقتها، فتنازع شخصان من الصحابة، وارتفعت أصواتُهما في المسجد، فنسي ﷺ تحديد وَقْتِها، هل كانت في الخامس، أو السابع، أو التاسع، في العَشْر الأخير، من شهر رمضان المبارك، وارتفع علمُها في تلك السَّنة.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه أنَّ ليلة القدر في شهر رمضان، لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ

فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] فدلَّ على أنها في شهر رمضان، ولهذا قال ﷺ: **(التمسوها في العشر الأواخر من رمضان)**.

الثاني: وفيه دليلٌ على أنَّ المخاصمة مذمومة، وأنها سببٌ في العقوبة والحرمانِ من بعض الأرزاق والخيرات.

الثالث: وفيه أنَّ رجاء ليلة القدر، في العشر الأخير من رمضانَ أقوى، والترغيبُ في طلبها لزيادة الاجتهاد في التماسها، لكونها أفضلُ من ألف شهر عند اللَّه تعالى.

باب (سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام)

٥٠ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: (كَان النَّبِيُّ ﷺ بَارِزاً يَوْماً لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: **مَا الإِيمَانُ؟** قَالَ ﷺ: (الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بالبَعْثِ).

قَالَ: مَا الإِسْلامُ؟ قَالَ: «الإِسْلامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ».

قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمِ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ». ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤].

[الحديث طرفه في: ٤٧٧٧]

ثُمَّ أَدْبَرَ، فَقَالَ: «رُدُّوهُ». فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ، جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»).

قال البخاريُّ: جعَلَ ذلك كلَّه من الإيمان. اهـ انظر صحيح البخاري.

شرح الألفاظ

(**بارزاً**) من البروز بمعنى الظهور، فقد كان ﷺ ظاهراً للناس، غيْرَ محتجبٍ عنهم.

(**فأتاهُ رجلٌ**) المراد بالرجل، المَلَكُ (جبريلُ) عليه السّلام، جاء النبيَّ ﷺ في صورة رجل، ولم يعرفه أحدٌ من الصحابة.

وفي رواية مسلم: (**بينما نحن جلوسٌ ذات يوم عند رسول اللَّه ﷺ إذ طَلَعَ علينا رجلٌ، شديدُ بياض الثياب، شديدُ سَوَاد الشعر**...) الحديث.

(**ما الإيمان**)؟ أي سأله ما هي أصولُ الإيمان؟ وما هي أركانُه؟ فعدَّ له النبيُّ ﷺ أصولَه: (الإيمان باللَّه، وبالملائكة، وبالكتب السماوية، وبالرسل، والتصديق بالبعث بعد الموت، وبالقضاء والقدر).

(**مَا الإِسْلامُ**)؟ أي ما هي أصوله وأركانه؟ فذكر له ﷺ: «**النُّطقَ بالشهادتين، والصلاةَ، والزكاةَ، وصيامَ رمضان، وحجَّ بيت اللَّه الحرام**».

(**مَا الإِحْسَانُ**)؟ فقال له: الإحسانُ مرتبة رفيعة، عالية القَدْر، تشمل إحسان العبادة والطاعة، وإحسانَ العقيدة، وإحسانَ العمل، مع الخشوع والخضوع والمراقبة للَّه... ولهذا بَيَّن له الرسول ﷺ مرتبةَ الإحسان بقوله: «**أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

(**متى السَّاعَةُ**)؟ أي متى تقوم الساعة؟ والمرادُ بالساعة: القيامةُ، التي تجيءُ بعد خراب الدنيا، وفناءِ البشر، وهناك يكون يومُ الحساب والجزاء!

(**ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل**) يريد أنَّ اللَّه عزَّ وجل استأثر بعلمها، كما قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣] فلا يعلمُ وقت مجيئها إلَّا اللَّهُ ربُّ العالمين، وكأنه يقول: علمي وعلمُكَ بها سواء، ولستُ بأعلمَ بها منكَ.

(**وسأخبرك عن أشراطها**) أي سأحدِّثك وأُخبركَ عن علاماتها.

(**إذا ولدت الأَمَةُ ربَّهَا**) الأمةُ: الجارية المملوكةُ بملك اليمين (**ربَّها**) أي سيِّدها ومالكها، وهو كنايةٌ عن فساد أمور البشر، فيصبح السيد عبداً، والعبدُ سيداً، والخائنُ مخلصاً، والمخلصُ خائناً، كما جاء في الحديث الشريف (**يأتي على الناس زمانٌ، يُؤتمن فيه الخائنُ، ويخوَّن فيه الأمين، ويكون أسعدَ الناس بالدنيا، لُكَعُ بنُ لُكَع**) أي اللئيم الفاجر، ابنُ اللئيم الفاجر.

(**تطاولوا في البنيان**) أي إذا تطاوَل أهلُ الإبل الحفاةُ الرعاةُ في الأَبْنيةِ الشاهقة، وكثُر البنيانُ لهؤلاء الرعاة، الذين كانوا يسكنون الخيام، فصارت عندهم الأبراج الشاهقة، والمنازل المرتفعة، وكثر عندهم المال، فهذا دليل قرب الساعة، كما هو في زماننا، وهذا الخَبَرُ من معجزاته ﷺ.

وفي رواية مسلم: (وأن ترى الحُفاةَ، العُراة، الرُّعاةَ، رعاءَ الشَّاء يتطاولون في البنيان).

(**ثم أدبر**) أي خرج الرجلُ السائل من عند الرسول ﷺ، فقال ﷺ لأصحابه: «**ردُّوا عليَّ السائلَ**»! فخرجوا فلم يجدوا أحداً، فقال لهم الرسول ﷺ: «**أتدرون من السائل؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم**».

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث استغراب الصحابة لأمر هذا الأعرابي، الذي كان يسأل الرسول ﷺ ويصدِّقه، كأنه يمتحن النبيَّ ﷺ في أقواله وإجاباته.

الثاني: وفيه مجيئه بصورة رجل من البشر، يستفسر من الرسول عن أمور الدين.

الثالث: وفيه التفريقُ بين (الإيمان) و(الإسلام) فالإيمانُ اسمٌ لِمَا بَطَن من الاعتقاد، وهو التصديقُ بالقلب، والإسلامُ هو الأعمالُ الظاهرة، من الصلاة والصيام، والحجّ، والزكاة.

الرابع: وفيه بيانُ عِظَمِ مرتبة الإيمان، ومرتبة الإسلام، ولكل واحدٍ فروعٌ وأركان.

الخامس: وفي الحديث دليلٌ على تمثُّل الملائكة بأيِّ صورة شاءوا، كما تمثَّل جبريل بصورة رجل من الأعراب.

السادس: وفيه المراقبةُ للَّه عزَّ وجل، في السِرِّ والعلن، وأن يعبد المؤمنُ ربَّه وكأنه يرى اللَّه، وهي مرتبة الإحسانِ العالية.

السابع: وفيه الانتفاعُ بالعلم، عن طريق السؤال والجواب، دون التلقين المباشر.

الثامن: وفيه الاعترافُ بعدم العلم إذا لم يعرف الجوابَ، وقولُ الإنسان: (لا أدري)، لا يُنقص قَدْرَ العالم، ولا يُزيل ما عُرف عنه من جلالته، فهذا رسولُ اللَّه يقول: «**ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السَّائل**».

obeikandl.com

تنبيهٌ لطيفٌ هام

في قول النبي ﷺ حين سُئل عن علامات الساعة، فأجاب بقوله: «**أن تلد الأمةُ ربَّتها**» كنايةٌ لطيفة، وإشارة بديعة، إلى فساد الأحوال، آخر الزمان، وانقلاب الأوضاع، بحيث يصيرُ السَّافلُ عالياً، والعالي سافلاً، والشريفُ وضيعاً، والوضيعُ شريفاً، وأن يُكرم الرجلُ مخافةَ شرِّه، وأن يُوسَّد الأمرُ إلى غير أهله، وأن يتحكَّم في رقاب الناس الأراذلُ والأسافلُ، ويُنحَّى الأكارم والأكابر، كما قال الشاعر:

فبينا نَسُوسُ النَّاسَ والأَمْرُ أَمْرُنَا ... إذا نحنُ فيهم سُوقَةٌ نُتَنَصَّفُ

فَأُفٍّ لِدُنْيَا لا يَدُومُ نَعِيمُهَا ... تَقَلُّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرُّفُ

٥١ ـ عن ابنِ عباس (أنَّ هرقل سأل أبا سفيان عن أمرِ رسولِ اللَّه ﷺ، وعن أتباعه هل يزيدون أم ينقصون..)؟ الحديث.

[الحديث طرفه في: ٧]

تقدَّم ذكرهُ وشرحُه في الحديث رقم (٧) وهو حديث طويل، وفيه فوائد كثيرة، ارجعْ إليه هناك.

باب (فضل الاستبراء للدِّين)

٥٢ ـ عَنِ النُّعْمَانِ بنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُما مُشَبَّهَاتٌ، لَا يَعْلَمُها كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقى المُشَبَّهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ).

[الحديث طرفه في: ٢٠٥١]

obeikandl.com

شرح الألفاظ

(**الحَلَالُ بيِّنٌ**) أي أمرُ الحلال واضح، لا لَبْس فيه ولا غموض، يعرفه الإنسان بفطرته.

(**والحرامُ بيِّنٌ**) أي وكذلك أمرُ الحرام واضح، لا يخفى على كل إنسان.

(**أمورٌ مُشَبَّهاتٌ**) أي بين الحلال والحرام أمور مشتبهاتٌ، يشكل أمرُها على بعض الناس، هل هي حلالٌ أم حرام؟

(**لا يعلمهن كثير**) أي لا يعلم حكمها كثيرٌ من الناس، لخفاء أمرها عليهم، هل هي من المباح؟ أم المكروه؟ أم الحرام؟

(**اتَّقَىٰ المُشَبَّهَاتِ**) أي اجتنب وابتعد عمَّا يُشَكُّ في أمره، من الأحكام المشتبهات.

(**اسْتَبرَأ لدينه وعِرْضِه**) أي طَلَبَ البراءةَ والنزاهة لدينه من النقص، ولعرضه من الطعن فيه.

(**ومن وقع في الشُّبُهَات**) أي ومن لم يجتنب هذه الشبهات، وقع في الحرام، وعرَّض نفسه للعقوبة، ثم ضرب ﷺ المَثَل له فقال:

(**كَرَاعٍ يَرْعَى حولَ الحِمَىٰ**) أي كمن يرعى غنَمَه، حول حدود أرضٍ محمِيَّة، لملِكٍ عظيم، ممنوعٍ الاقتراب منها، فإنه يعرِّض نفسه للخطر.

(**يوشك أن يواقعه**) أي يوشك أن يقع فيه، فيعرِّضُ نفسَه للعقوبة.

(**حِمَىٰ اللَّه محارمُهُ**) أي لكل ملِكٍ من ملوك الدنيا سياجٌ وسور، يحمي قصره من دخوله، وحِمَىٰ اللَّهِ: هو المحرَّماتُ التي حرَّمها اللَّه على عباده.

(**في الجسد مضغة**) أي قطعة من اللحم، قدر ما يُمضغ من الطعام، عبَّر عنها بالمضغة لصغر حجمها، وهي قلب الإنسان، الذي هو المحرِّك والمسيطر على البدن، إنْ صَلَحَ القلبُ، صَلَحت جميع أجزاء الجسد، وإن فسد القلبُ فسدت جميع الأعضاء في الجسد.

ما يستفاد من الحديث

الأول: فيه اجتنابُ ما يوقع في الشبهات، لأنها تجرُّ إلى الوقوع في المحرَّمات.

الثاني: وفيه الورعُ في الأمور الدينية، من حلال وحرام، خشية الوقوع في الحرام.

obeikandl.com

الثالث: وفي الحديث تنبيهٌ على تعظيم مكانة القلب، والحثّ على تطهيره وصلاحه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

الرابع: وفيه الأمر بالعناية بالكسب الحلال، في المطعم، والمشرب، والملبس.

الخامس: وفيه أنَّ المستكثرَ من المشبوه، تصير عنده جرأةٌ على ارتكاب المحظور، والمنهيِّ المحرّم.

تنبيه هام

هذا الحديث اعتبره بعضُ المحدِّثين من أمهات أحاديثِ الأحكام، كما نُقل عن أبي داود أنه قال:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ ... مُسْنَدَاتٌ من قولِ خَيْرِ البَرِيَّة

اتْرُكْ الشُّبُهاتِ، وازْهَدْ، وَدَعْ مَا ... لَيْسَ يَعْنِيكَ، وَاعْمَلَنَّ بنيَّة

تذكيرٌ وتبصير

قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث: (وفي اختصاص التمثيل «**بالراعي يرعَى غنمَه حولَ الحِمى**» نكتةٌ بديعة، وهي: أن ملوك العرب كانوا يَحْمُون المراعيَ لمواشيهم، في أماكنَ خاصة، ويتوعَّدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة، فمثَّل لهم الرسولُ ﷺ بما هو مشهور عندهم. فالخائفُ من العقوبة، المراقبُ لرضى المَلِكِ، يبتعد عن ذلك الحِمَى، خشيةَ أن تقع مواشيه فيه، فبعدُه أسلمُ له، وغيرُ الخائف يرعى في جوانبه، فلا يأمن أن تقتحمَ الغنمُ في مرعى المَلِك، فيستحقّ العقوبةَ، فاللَّهُ هو المَلِكُ حقًّا، وحِمَاه محارمُه) .اهـ. فتح الباري ١/ ١٢٨.

باب (أداءُ الخُمُس من الإيمان)

٥٣ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما قَالَ: (إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ الْقَوْمُ؟ أَوْ مَنِ الوَفْدُ»؟ قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَباً بِالقَوْمِ ـ

أَوْ بِالوَفْدِ ـ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ. وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ». وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الْحَنْتَمِ، وَالدُّبَّاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالمُزَفَّتِ وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ». وَقَالَ: «احفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ».

[الحديث أطرافه في: ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨، ٣٠٩٥، ٣٥١٠، ٤٣٦٨، ٤٣٦٩، ٦١٧٦، ٧٢٦٦، ٧٥٥٦]

شرح الألفاظ

(وفْدَ عَبْدِ القَيْس) أي الجماعة الذين قدموا على رسول اللَّه ﷺ من قبيلة (عبد القيس بنِ ربيعة) وكانوا يسكنون في البحرين، ومدينة الأحساء، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، والوفدُ: هم الجماعةُ الذين يُختارون من قومهم، لملاقاة العظماء والكبراء من الناس.

(مَن القومُ)؟ هذا سؤالُ معرفةٍ واستفسار أيْ من أيِّ قبيلةٍ أنتم؟

(قالوا ربيعةُ) أي نحن من قبيلةِ (عبد القيس بن ربيعة) وكانوا خيْرَ أهل المشرق، فقد وردَ أنَّ الرسول ﷺ بينما كان يحدِّث أصحابَهُ إذ قال لهم: «**سيطلع لكم من هذا الوجه** ـ أي الجهة ـ **ركبٌ هم خيرُ أهلِ المشرق**» فتلقَّاهم عمر رضي اللَّه عنه.

(مرحباً بالقوم) أي صادفتم رَحْباً أي مكاناً واسعاً، وحللتم سهلاً، ولاقيتُم ما تحبُّون من الضيافة والتكريم، وهي أصلُ التحية للضيوف في قولهم: «أهلاً وسهلاً».

(غَيْرَ خَزَايَا ولا نَدَامى) أي غير مُذَلّين ومهانين، وغير نادمين على تركِكم الوطن، لأنكم أسلمتم طوعاً، من غير حربٍ أو سَبْي، يلحقكم به الذلُّ والفضيحة، بشَّرهم ﷺ بالخير عاجلاً وآجلاً، لأنهم قدموا عن رغبةٍ في إظهار الإسلام.

(في الشهر الحرام) مرادُهم الأشهر (الحُرُم الأربعة) لأنهم يأمنون فيها من العدوان، كما تعارفوا عليه في الجاهلية، من تعظيم حرمة الأشهر الحُرُم، (رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرَّم).

(**كفار مُضَرَ**) كانت ديارهم في طريق الوافدين إلى المدينة المنورة، ولم يُسْلِموا بعدُ، ولكنهم كانوا يعظِّمون شهر رجب على وجه الخصوص، ولهذا أُضيف إليهم الشهر، فقيل: (شهرُ مُضَرَ) عند ذكر الأشهر الحُرُم، وهو (رجب الفرد).

(**بأمرِ فَصْلٍ**) أي مُرْنا بأمرٍ واضحٍ جليٍّ، من أمور الحلال والحرام، نخبر به قومنا، ونعمل به في بلادنا، لأنه يشقُّ علينا إتيانُك كل مرة.

(**فأمرهم بأربع**) أي فأمرهم ﷺ بأربع خصال، ونهاهم عن أربع خصال. (أَمَرهُمْ بالإيمان باللَّه والشهادةِ له بالوحدانية، وإقامة الصلاة، ودفع الزكاة، وصوم رمضان، ودفع الخُمسِ من الغنيمة).

(**ونهاهم عن أربع**) وهي: (**الحَنْتَمُ**) والحَنْتَمُ: جِرَارٌ كبيرة تحمل فيها الخمرُ إلى المدينة، وكانت تُنقل من الطائف. (**والدُبَّاء**) هو القرعُ الشتوي الكبير الذي يُطرح فيه التمر أو العنبُ، فيتسارع فيها التخمر.

(**والنَّقيرُ**) جِذْعٌ من الشجر، يُنقر وسطُه، ويُجعل كإناءٍ يضعون فيه النبيذ، وهو سريع التخمر أيضاً.

(**والمزفّت**) أي المَطْليُّ بالزِّفت، وكلُّها أوانٍ يتسارع فيها التخمُّرُ، من أنواع التمر، والعنب، والزبيب، والرطب، فقد كان من عادة العرب استعمال هذه الأواني للخمر، حرَّم عليهم الرسُولُ ﷺ كلَّ ما يتسارع إليه من الأواني لصنع الخمر والنبيذ، وقد كان أهل الجاهلية يشربون الخمر، كما نشرب نحن الماء الزلال، ويضعونها سنين في أوانٍ كبيرة، لتصبح معتَّقةً، ويُسرع فيها الإسكار.

سبب ذكر هذا الحديث

هذا الحديثُ له قصة، ذكرها الإمام البخاري في مقدمة ذكر الحديث، وهي أنَّ (أبا جَمْرة) ـ واسمه «نَصْر بن عِمْرانَ» كان يرافق ابنَ عباس، ويترجم له، لأنه كان يتقنُ الفارسية ـ قال أبو جمرة: فكنتُ أقعدُ معه، يُجلسني على سريره، فقال لي ابنُ عباس: أقمْ عندي، حتى أجعلَ لك سهماً من مالي، فأقمتُ معه شهرين، ثم قال لي: (إنَّ وَفْد عبدِ القيس، لمَّا أَتَوْا النبيَّ ﷺ قال لهم: (**مَن القومُ**)؟ أو من الوفدُ؟ ثم ذكَرَ بقية الحديث.

وذكر الحافظ ابن حجر سبباً آخر فقال: كان (أبو جمرة) يترجم لابن عباس، فيكون بينه وبين الناس، فأتته امرأةٌ تسأله عن نبيذ الجرِّ ـ أي ما يُطرح في الجرار أياماً ليصبح نبيذاً ـ فنهى عنه ابن عباس، فقلتُ له: يا ابنَ عباس إني أنتبذ في جرَّة

خضراءَ، نبيذاً حُلواً، فأشربُ منه، فتُقَرْقِرُ بطني، وإن أكثرتُ منه، وأطلتُ الجلوسَ مع الناس، خشيتُ أن أفتضح ـ أي لتأثيره عليَّ بالتفتير ـ فقال لي: لا تشربْ منه، وإن كان أحلى من العسل!! ثم ذكر له قصة وفد عبد القيس!!

قال ابنُ حجر: وكأنَّ ابنَ عباس لم يبلغْه نسخُ تحريمِ الانتباذِ في الجرار. اهـ فتح الباري ١/ ١٣٠.

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث ثناءُ الرسول ﷺ على (وفد عبد القيس) لسبقهم العربَ بالدخول في الإسلام، فلذلك استحقُّوا التكريمَ والثناء!

الثاني: وفيه مشروعيةُ الترحيب بالضيف، كقول المُضيف: أهلاً وسهلاً، وقوله: أهلاً ومرحباً، أو حلَّتْ علينا البركاتُ بحضوركم، وأمثالُ ذلك.

الثالث: وفيه تكريمُ أهل العلم والفضل، كما فعل ابن عباس مع أبي جَمْرةَ.

الرابع: وفيه استحبابُ سؤال الضيف، القاصدِ للزيارة، عن وطنه، وأهله، ليعرف قَدْرَه، ويُنزله منزلته.

الخامس: وفيه استحبابُ تأنيس القادم، بالكلام الطيِّب الذي يُفْرِح النفس، كقول النبي ﷺ للوفد: (مرحباً بالقوم، غيرَ خزايا ولا ندامى)، وقوله لعكرمةَ بن أبي جهل: «مرحباً بالراكب المهاجر»، فالكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ من الصَّدقات، وحسنةٌ من الحسنات.

السادس: وفيه تحريمُ وضع التمر، أو الرطب، أو الزبيب، في الجرار التي يتسارع فيها التخمر، كالمقيَّر، والمزفَّت، والانتباذُ فيما يُسرع إليه الإسكار، أمَّا الانتباذ ليوم أو يومين، أو ساعاتٍ، قبل أن يقذف بالزَّبد، فلا بأس به، فقد كان ﷺ يُنبذ إليه في إناءٍ في المساء، فيشربه في الصباح، وهو الذي أباحه (أبو حنيفة) رحمه اللَّه، لا هذا النبيذُ المسكرُ النَّجسُ، الذي يُباع في الأسواق، ويزعم بعضُ الناس حِلَّه، فإنه رجسٌ من عمل الشيطان، لأنه مسكر كالخمر، وقد نهى النبي ﷺ عن كلِّ مسكرٍ ومُفتِّر.

باب (ما جاء أنَّ الأعمالَ بالنيَّاتِ)

٥٤ ـ عَنْ عُمَرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

obeikandl.com

(الْأَعْمالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ ورسولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).

[الحديث طرفه في: ١]

شرحُ الحديث

تقدَّم هذا الحديث مع شرحه في أول حديثٍ من أحاديث البخاري، في كتاب «بدء الوحي» وهو حديثٌ عظيم هام، من أهمِّ أركان الإسلام، لأنه ينبني عليه قبولُ الأعمال أو ردُّها، والثوابُ عليها أو العقابُ، وقد خطب به رسولُ اللَّه ﷺ حين قدم المدينة مهاجراً، وهاجر معه المسلمون، وكان في زُمرة المهاجرين، رجل يُعرف بمهاجر «أم قيس» لا يريد بذلك فضيلة الهجرة، وإنما هاجَر ليتزوَّج بتلك المرأة، كما جاء توضيح ذلك في رواية الطبراني عن الأعمش، ولفظُه (كان فينا رجلٌ خَطَب امرأة، يقال لها: «أمّ قيس» فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فتزوَّجها، فكنا نُسمِّيه «مهاجرَ أمِّ قيس»). اهـ. فتح الباري ١/ ١٠.

وصفوةُ القول في معنى الحديث: أن المؤمن لا بدَّ له أن يُخلص في النية، ليكون مثاباً ومأجوراً عند اللَّه تعالى، لقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] فكمالُ الأعمال، وصحَّتُها في نيَّة الإنسان، من خيرٍ أو شر، فمن قصد بهجرته وجهَ اللَّه ونصرة الدين، فهجرتُه شرعية يُثاب عليها، ومن قَصَد النكاح أو تجارة الدنيا، حُرِم أجرَ المهاجرين.

تنبيه لطيفٌ هام

قال الحافظ ابن حجر: (قال أبو عبد اللَّه ـ يعني البخاري ـ: ليس في أخبار النبي ﷺ شيءٌ أجمعُ وأغنى، وأكثرُ فائدةً من هذا الحديث).

حتى قال الشافعي وأحمد: (هذا الحديث يُعدُّ ثُلثَ الإسلام، لأنَّ كسب العبد يقع بقلبه، ولسانه، وجوارحه، والنيَّةُ أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها، ولذا ورد: «**نيةُ المؤمن خيرٌ من عمله**» وهذا الحديث أحدُ الأحاديث الثلاثة التي يقوم عليها عمود الدين، وهي حديث (**إنما الأعمالُ بالنيَّات**) وحديث (**الحلالُ بيِّن والحرامُ بيِّن**)

وحديث: (**من عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**) أي مردودٌ عليه) .اهـ. فتح الباري على صحيح البخاري ١/ ١١.

وفي حديث سعد بن أبي وقاص أن رسول اللَّه ﷺ قال له: (**وإنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجهَ اللَّه، إلَّا أُجِرْتَ عليها، حتى ما تضعه في فيِّ امرأتك**) أي في فمها، والشاهدُ في هذا الحديث قولُه ﷺ: (**تبتغي بها وجه اللَّه تعالى**...) الحديث.

باب (نفقة الرجل على أهله)

٥٥ ـ عَنْ أَبي مَسْعُودٍ ـ عُقْبة بن عَمْرو ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: (إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ).

[الحديث طرفاه في: ٤٠٠٦، ٥٣٥١]

شرح الألفاظ

(**على أهله**) يراد بالأهل هنا: الزوجة، بدليل الحديث الذي بعده، وهو قوله: (**حتى ما تجْعلُ في (في) امرأتك**) أي فم زوجتك.

(**يَحْتَسِبُها**) أي يقصد أجرَها من اللَّه تعالى.

(**فهو له صدقة**) أي فهذا الإنفاق يؤجر عليه، وقَصَدَ بالصدقة: الأجرَ.

تنبيه لطيف

أفاد هذا الحديث أنَّ الأجر في الإنفاق، إنما يحصل للإنسان، إذا قَصَد به القربة وطاعة اللَّه، وإذا لم يقصد القُرْبَةَ لم يؤجر، لكنْ تبرَأُ ذِمَّتُه، لأنَّ النفقة على الزوجة واجبة، لقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧] ويدلُّ على هذا حديث (سعد بن أبي وقَّاص) الآتي ذكرُه:

obeikandl.com

بابُ (الأجر في النفقة على الزوجة)

٥٦ ـ عَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي اللَّه عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِها وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعلهُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ) أي في فمها.

[الحديث أطرافه في: ١٢٩٥، ٢٧٤٢، ٢٧٤٤، ٣٩٣٦، ٤٤٠٩، ٥٣٥٤، ٥٦٥٩، ٥٦٦٨، ٦٣٧٣، ٦٧٣٣]

والشاهدُ في الحديث قوله ﷺ: **(تبتغي بها وجه اللَّه)**.

قال النووي: هذا بيانٌ لقاعدةٍ مهمَّة، وهي أنَّ ما أُريد به وجهُ اللَّه تعالى، ثبتَ فيه الأجرُ، وإن حصل لفاعله في ضمنه، حظُّ نفسٍ من لذَّة أو غيرها، فلهذا مثَّل ﷺ بوضع اللقمة في فم الزوجة، لاستمالة قلبها نحوه، فإذا كان هذا يَثْبُت به الأجر، إذا أريد به وجهُ اللَّه تعالى، فكيف الظنُّ بمن أطعم محتاجاً، كسرةً أو رغيفاً، لا شكَّ أنَّ أجره بالطريق الأولى .اهـ.

بابُ قولِ النبيِّ ﷺ (الدِّينُ النصيحةُ)

٥٧ ـ عَنْ جَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي اللَّه عنه أنه قَالَ: (بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ).

[الحديث أطرافه في: ٥٨، ٥٢٤، ١٤٠١، ٢١٥٧، ٢٧١٤، ٢٧١٥، ٧٢٠٤]

شرح الألفاظ

(**الدِّينُ النَّصِيحةُ**) من الكلام الموجز البليغ، كأنه جعل الدِّينَ كلَّه، في إسداء

النصح لكل المسلمين، للعالم والجاهل، والحاكم والمحكوم، والظالم والمظلوم، ولخاصّة المسلمين، كالملوك والأمراء، وعامَّتِهم كالعامَّة والدَّهْماء.

قال العينيُّ: النصيحةُ كلمةٌ جامعة لفنون الخير، وهي من وجيز الأسماء، ومختصر الكلام، وليس في كلام العرب، لفظة تستوفي هذه الكلمة، كما قالوا عن «الفَلَاح» ليست هناك كلمةٌ تستوفي ما جمعت، من خَيْرَيْ الدنيا والآخرة.

أَمَّا النصيحةُ للَّه: فهي الإيمانُ به، وتركُ الإلحاد في صفاته، ووصفُه بصفات الجلال والكمال، وتنزيهُه تعالى عن صفات النقص، والقيامُ بطاعته، واجتنابُ معصيته.

وأمَّا النصيحةُ لكتابه: فهو الإيمانُ بأنه كلامُ الخالق جلَّ وعلا، الذي لا يشبهه شيء من كلام الخَلْق، ثم تعظيمُه وتلاوتُه، والتصديقُ بما فيه، والعملُ بمقتضى أوامره وأحكامه.

وأما النصيحةُ لرسوله: فتصديقُه بالرسالة، والإيمانُ بجميع ما جاء به، وطاعتُه في أوامره ونواهيه، ونُصْرتُه في حياته، وإحياءُ سنته، والتخلُّقُ بأخلاقه، ومحبَّةُ أهلِ بيته وأصحابه.

وأمَّا النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتُهم على الحقّ، وطاعتُهم فيما فيه مرضاةٌ للَّه، وتذكيرُهم إذا نَسُوا، وتركُ الخروج عليهم بالسيف، والجهادُ معهم، لنصرة الدين.

وأمَّا نصيحة العامَّة: فإرشادُهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، وكفُّ الأذى عنهم، وتعليمُ الجاهل منهم، وسترُ عوراتهم، وأن يحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسه من الخير .اهـ. عمدةُ القاري شرح صحيح البخاري ١/ ٣٢٢.

بابُ (النصحِ لكل مسلم)

٥٨ ـ عَنْ جَرِيرِ بنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي اللَّه عنه أنه قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلَامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ: وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ). فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا.

[الحديث طرفه في: ٥٧]

ما يستفاد من الحديث

الأول: في الحديث أنَّ البيعة مشروعةٌ في الإسلام للنبي ﷺ، ولمن يخلفه من الأمراء، على السمع والطاعة، والنُّصح لكل مسلم، كما فعله ﷺ مع أصحابه.

الثاني: وفيه بيانُ رحمة الرسولِ ﷺ، وشفقتِه على أمته، فقد كان يقول لمن يبايعه على السمع والطاعة، فيلقِّنه كلمة عظيمةً نافعة، وهي أن يقول المبايعُ **(فيما استطعتُ)** أي على قدر استطاعتي، موافقةً لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ . . .﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الثالث: وفيه أنَّ النصيحة للمسلمين، واجبٌ شرعي، حيث كان ﷺ يَقْرِنُها بالبيعة على الإسلام.

تنبيهٌ لطيفٌ

كان (جريرُ بن عبد اللَّه) المبايعُ للرسول ﷺ إذا اشترى شيئاً، أو باع شيئاً يقول لصاحبه مخيِّراً له: (اعلمْ أنَّ ما أخذناه منك، أحبُّ إلينا ممَّا أعطيناك إيَّاه، فاختَرْ لنفسك) رواه ابن حبان.

وذلك تنفيذاً لوصية الرسول ﷺ عند عقدِ البيعة: (والنُّصْحِ لكل مسلم)، وانظر فتح الباري على شرح البخاري ١/ ١٣٩.

قصةٌ لطيفةٌ

(نصيحةُ جريرِ بنِ عبدِ اللَّه لأهل الكوفة)

ذكر الإمام البخاري في صحيحه هذه القصة العجيبة، عن جرير رضي اللَّه عنه، بسنده عن زياد بن عِلاقة أنه قال: (سمعتُ جريرَ بنَ عبد اللَّه يقول ـ يوم مات (المغيرةُ بنُ شُعبة) وكان والياً على الكوفة ـ أنه قام فحمدَ اللَّهَ وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناسُ عليكم بتقوى اللَّه وحدَه، لا شريك له، وعليكم بالوقار والسكينة، حتى يأتيكم أميرٌ ـ أي يُعيَّن لكم أميرٌ من جهة الخليفة ـ)!!

ثم قال: استَعْفُوا لأميركم ـ أي اطلبوا له العفو من اللَّه ـ فإنَّ أميركم كان يحبُّ العفو ـ أي يَعْفو ويسامح، فكونوا مثله ـ.

ثم قال أمَّا بعد: فإني أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: أبايعك على الإسلام، فشرط

عليَّ: (**والنُّصْحِ لكل مسلم**) فبايعته على هذا... وربِّ هذا المسجد إني لناصحٌ لكم، ثم استغفر اللَّه تعالى ونزل عن المنبر).

أقول: هذا حديثٌ موقوف على الصحابيِّ الجليل (عبد اللَّه بن جرير البَجَلي) رضي اللَّه عنه، فهو من كلامه، ووعظِه ونصحه، وليس حديثاً مرفوعاً إلى رسول اللَّه ﷺ، وإنما أورده البخاري في صحيحه، كتأكيدٍ لواجب المسلم النُّصْحَ للمسلمين.

obeikandl.com